شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الخامس والستون ، السنة السادسة، شوّال ١٤٣٦ - تموز/آب ٢٠١٥

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

65

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — وَلَكُم في زَوال إسرائيل حياة ..... الشيخ حسين كوراني — 6

تحقيق — مقام ميثم التمّار في الكوفة ..... إعداد: د. أليس كوراني — 8

مراقبات — عيد الفطر: يومُ البشارة من الله تعالى..... إعداد: "شعائر" — 13

أحسن الحديث — موجز في تفسير سورة التغابن ..... سليمان بيضون — 16

التوبة طهارة من ألواث البُعد والشقاء ..... العلّامة الطباطبائي قدس سره — 18

أيام الله — مناسبات شهر شوّال ..... إعداد: "شعائر" — 21

وقال الرسول — الخوف، والرجاء ..... إعداد: "شعائر" — 24

حدود الله — الفرائض: المواقيت والنوافل ..... الإمام الخميني قدس سره — 25

يزكّيهم — استعِن بالدنيا.. للنجاة في الآخرة ..... الشّيخ بهجت قدس سره — 26

الملف — ٨ شوّال: ٩٢ عاماً على جريمة الوهّابيّين في البقيع — 27

استهلال ..... من زيارة الأئمّة عليهم السلام المدفونين في البقيع — 28

جنّة البقيع ..... مدخل — 29

بقيع الغرقد في كتب (الرحلات) ..... إعداد: "شعائر" — 30

هكذا هدم الوهّابيّون القبور الطاهرة ..... إعداد: أسرة التحرير — 33

الوهّابيّة: استراتيجيّة الغرب في محو آثار النبوّة ..... شمس الدين العجلاني — 37

في نقض فتاوى تحريم زيارة القبور ..... الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله — 40

لولا دعاؤكم — الدعاء لشدّة البلاء ولهلاك العدو ..... عن السيد بحر العلوم قدس سره — 43

صاحب الأمر — الاستغاثة بالإمام المهدي عليه السّلام ..... إعداد: "شعائر" — 44

وثائق

هدية الإمام الخامنئي للعتبة الرضوية المقدسة

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	الأنس بالحقّ يوجبُ كشف الأسرار	الإمام الخميني قدس سره	46
يذكرون	أذكار (العديلة عند الموت)	المحدّث القمّي قدس سره	47
حوارات	سيرة الشهيد الثاني بقلمه	إعداد: أسرة التحرير	48
فكر ونظر	الحرية في القرآن الكريم: ترشيدُ إرادة الاختيار	الشهيد الصدر قدس سره	52
	ثقافة المقاومة الإسلاميّة	الشيخ حسين كوراني	54
أعلام	العالم الجليل والشاعر الشيخ حميد السماوي	سليمان بيضون	57
كلمة سواء	مراتبُ التوحيد	السيّد المدني الشيرازي رحمه الله	61
وصايا	وصية أمير المؤمنين للإمام الحسن عليه السلام	إعداد: "شعائر"	62
	وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام للحارث الهمداني	إعداد: "شعائر"	63
مرابطة	كلمة والد الشهيد محمد جوني في تشييعه	إعداد: "شعائر"	64
	طلائع الثورة المتجدّدة ضدّ الصهاينة	معين الطاهر	65
وثائق	هدية الإمام الخامنئي للعتبة الرضوية المقدّسة	إعداد: "شعائر"	66
دوائر ثقافية	الفهرس		67
موقف	العزم على التوبة، بداية العودة	الملكي التبريزي قدس سره	68
فرائد	تسبيح الزهراء عليها السلام سُنّة مؤكّدة	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	(أنوار الملكوت في شرح الياقوت) للعلامة الحلّي	قراءة: محمود إبراهيم	70
بصائر	من سيرة الإمام الصادق عليه السلام	إعداد: "شعائر"	72
مصطلحات	الوصيّ والوصيّة	السيد مرتضى العسكري رحمه الله	74
مصطلحات	البِرّ	المرجع الديني الشيخ مكارم الشيرازي	75
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	76
إصدارات	عربية، أجنبية، دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	جهاد النفس، قبل يوم الحساب والحسرة	الإمام الخامنئي دام ظلّه	82

بسملة

وَلَكُم في زَوال إسرائيل حياة..

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

يومَ أعلنَ الإمام الخمينيّ يومَ القدس العالميّ، كانت حركاتُ المقاومة — بالحدّ الأدنى— في أسوإ ظروفها.

ويوم دخلتْ أعداد صغيرة من «الحرس الثّوريّ» الإيرانيّ لتدريب طلائع المقاومة الإسلاميّة عند التّأسيس، لم يكُن قد بقيَ من حركات المقاومة في لبنان عينٌ ولا أثر.

لم يتفاعل مع نداء الإمام الرّاحل حولَ القدس إلّا مجموعات شبابيّة في عددٍ من البلدان، كان لبنان من بينها المناخ الأمثل لاحتضان نواة المقاومة رغم العقبات الكَأْدَاء، وهوج العواصف والأعاصير والزّلازل. «**فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر**».

بقدرة قادرٍ ﴿يُحيي العظامَ وهي رَميم﴾ تَعملَقت المقاومة الإسلاميّة، لتُقرَّ عيني أبي مصطفى قبل وداعه «**الإخوة والأخوات**» والرّحيل إلى جوار ربّه راضياً مَرْضِيّاً.

وجاء بعدَه نِعم الخلف «**عليّ بن الجواد الحسينيّ**» الإمام الخامنئيّ دام ظلّه، فحدّد مهمّة حزب الله «إزالة إسرائيل من الوجود»!!

ولم يدُر في خَلَد أحد حتّى من قادة حزب الله — وكنت في شورى القيادة آنذاك — أنّ هذا الحلُم الجميل يُمكن أن يتحقّق في المستقبل القريب.

***

كانت حرب تمّوز مصداقاً شاخصاً لحاكميّة السّنن الإلهيّة الاجتماعيّة، ومفصلاً في تاريخ المنطقة والعالم، ومدماكاً ركيناً لاستقلال الشّرق عن الغرب الذي طال ليلُ استعماره له.

أسّست نتائج حرب تمّوز لتعافي جسد الأمّة الواحد من الوجه المضمَر للغدّة السّرطانيّة، الذي تسلّل إلى موقع زعامة «أهل السّنّة والجماعة»!!، عبر تغطية الصّهيونيّة العالميّة والمخابرات البريطانيّة ثمّ الأميركيّة، لينشرَ في أربع رياح الأرض «**الوهابيّة**» — التي هي نسخة «**ابن تيميّة**» لمشروع التّحالف الأمويّ — اليهوديّ الذي أسّسه أبو سفيان مع يهود المدينة المنوّرة.

***

ما بين حرب تمّوز، وأولى تباشير تَعافي الجسد الواحد من أمويّة آل سعود ووهّابيّتهم اليهوديّة، كانت تباريح الغموم و«الدّواعش» متدحرجة كما يلي:

١— لم تعد «إسرائيل» المهزومة المأزومة، قادرة على تغطية الحكّام «النواطير» و«الجندرما»، و«الدُّمى».

٢— صار هؤلاء «**نهباً صِيحَ في حجراته**» والصّائح «أوباما»، والنموذج لصيحته في النّواطير: «على مبارك أن يستقيل اليوم. اليوم يعني اليوم»!!!

٣— كانت الخطّة تقضي بتتابع هروب الحكّام، ليملأ الرّعب قلب «**الرّئيس السّوريّ**» فتُستباح «**سوريا**» التي مكّنت إيران من التّواصل مع لبنان والتّأسيس لحرب تمّوز.

٤— كان شعار الرّبيع العربيّ يعني تغيير النظام في سوريا ليدخل العالم العربيّ في العصر الإسرائيليّ. كما لن يُنسى كلام «**أوباما**» عن «**مبارك**»، لن يُنسى ما قاله «**أردوغان**» عن استعداده لاستقبال الرّئيس السّوريّ لاجئاً!، ودعوة زوجته حرم الرّئيس السّوريّ للهروب إلى تركيا!

٥— انقلب السّحر على السّاحر. انكشف أنّ الانفجارات الشّعبيّة فوق كلّ الحسابات، وجاءت حرب غزّة الثّانية لتُعمّق جديّة الخطر الوجوديّ الذي يتهدّد الكيان الصّهيونيّ.

٦— تمخّض الجبل الصّهيو — أميركيّ عن اعتماد تجربة المخابرات البريطانيّة عبر آل سعود حيث فرضوا عبر داعشيّتهم المتوحّشة سلطة آل سعود وتسلّلهم إلى زعامة العالم الإسلاميّ طيلة العقود الماضية.

٧— وُلِدَ الدّواعش وتناسلوا كالجراد. نُسَخٌ مُسوخٌ طبقُ الأصل السّعوديّ الوهابيّ و«فكره» الأمويّ الحاقد على جميع المسلمين، ولكن على نطاق أوسع، يبدأ بسوريا والعراق.

٨– دارت رحى «**إدارة التّوحّش**» السّعوديّ، اليهوديّ، الوهابيّ، الأمويّ، الأميركيّ، وراق الشّيطان الأكبر حصادَه الدّامي من الرّؤوس والأحقاد الطّائفيّةِ تغلي كالمراجل، فقرّر – الشّيطان – توسعة «**إدارة توحّشه**» لتشمل ليبيا، وتونس، ومصر، والكويت، والجزائر، والحبل على الجرّار.

٩– وعندما تمكّن محور المقاومة أن يوقظ الأمّة من هول الصّدمة، وبدأت كفّةُ المواجهات مع الدّواعش تميل لصالح محور المقاومة، تفجّر شلاّل رشد الأمّة في اليمن. «**الإِيْمَانُ يَمَانِيّ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّة**».

١٠– هكذا استُدرج **الفرعون** السّعو – صهيو – أميركيّ، إلى البحر، و«**قارون**» إلى «**الخَسف**»، و«**أبو لهب**» إلى بئس المصير. ﴿..أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

***

كما لم يُطلق الشّيطان الأميركيّ الوحش السّعوديّ وتابعه القطريّ، ومطيّتهما التّركيّ «**أردوغان**»، إلّا حين عصفتْ حرب تمّوز بكلّ إنجازات «**سايكس بيكو**» وما والاه، و«**أوسلو**» وما تلاه..

لم ينطلق الوحش السّعوديّ في افتراس البشر والحجر في اليمن إلّا عندما لاحت طلائعُ فشل تعميم داعشيّة آل سعود الأولى، وتوالى تراجع الدّواعش المُستَنسَخين عن «**الدّرعيّة**»، و«**الرّياض**».

وكلّ الخير في ما وقع!

دفَنَ العدوانُ السّعوديّ على اليمن حُلم آل سعود في التّفريق بين وهابيّة معتدلة يمثّلونها، ووهابيّة متطرّفة في العراق وسوريا، ينافقون في ادّعائهم محاربتها، تستّراً منهم ببرقع «**أهل السُّنّة والجماعة**» لمواصلة «**نَزْوِهِم**» على منبر زعامة الأمّة قرناً آخر!

ها هي التّرسانة العسكريّة السّعوديّة – بمددها الصّهيو – أميركيّ – تقدّم للأمّة والبشريّة أقوى الأدلّة الدّامغة على زيف آل سعود. إنّهم متسلّلون إلى زعامة أمّةٍ ليسوا منها، وإلّا لما هان عليهم «**إدارة التّوحّش**» الجوّيّ ضدّ شعبٍ أعزَل.

غارات آل سعود على اليمن تحفر قبورهم، ليخرجوا من واقع الأمّة وذاكرتها، بعد اكتمال انكشاف حقيقتهم الصّهيونيّة.

***

وإن تعجب ولا ينقضي منك العَجب إلى يوم الدِّين، فاعجَب من «**ميّت الأحياء**» الذي لا يفقه أنّ «**آل سعود**» أمويّون نواصب، يتداخل السّبب والنّسَب في رسم حقيقتهم اليهوديّة. ليسوا سُنّة ليحقّ لهم التّكلّم باسم السُّنّة، وليسوا مسلمين ليحقّ لهم إصدار الأحكام ضدّ الشّيعة.

مَن يتحاشى المُضِيّ قدماً في مواجهة الأمّة لآل سعود والبراءة منهم، لا يفهم ألفباء الوحدة الإسلاميّة على قاعدة المجمَع عليه بين علماء الأمّة، خصوصاً في ما يرتبط بأهل البيت عليهم السّلام. مُبغِضُهم خارجٌ عن الإسلام، حتّى إنْ لم يدافع عن آل أبي سفيان، فكيف إذا بنى مذهبَه على التّفاني في حبّهم، والعداء لرسول الله وأهل بيته صلّى الله عليهم أجمعين.

تحريم الوهّابيّين لزيارة قبر الرّسول كاشفٌ دامغٌ عن حقد معاوية الذي ورثوه منه حين قال: «لله أبوك يا ابنَ عبد الله، لقد كنتَ عاليَ الهمّة، ما رضيتَ لنفسك إلا أن تقرنَ اسمَك باسم ربّ العالمين».

وهدْمُ الوهّابيّين لقباب وأضرحة الأئمّة من أهل البيت في البقيع، وهَدْمُ دواعشهم قبور صحابة وصلحاء، امتداد إصرار معاوية على تتبّع أهل البيت ومحبّيهم، معبّراً عن ذلك بقوله: «إلّا دَفْنَاً دَفْناً»!!

***

أمّا وقد أسفر الصّبحُ لذي عينَين، وأشرقت شمسُ الحقيقة لمَن كان له قلب، وانكشف المستور من التّماهي الدّاعشيّ – الصّهيونيّ، فقد أصبحت الأمّة أمامَ خيارٍ وحيد: أجهِزوا على «إسرائيل»، لا تُمهلوها ولو «فُواق ناقة» أو «عَدوة فَرَس».

باستئصال الوجه الظّاهر من وجهَي الغدّة السّرطانية «**إسرائيل**»، تنتفي الحاجة إلى وجهها السّعوديّ الدّاعشيّ المضمر– أو يتلاشى – إنْ كان قد بقيَ منه إلى حينها عينٌ أو أثر.

ولكم في زوال إسرائيل حياة..

ضريحُ ميثَم التّمّار

الشاهد على شهيدٍ ذاب في الحقّ

مقام التابعي ميثم التمّار في الكوفة

إعداد: د. أليس كوراني

على مرّ التّاريخ، كان طواغيت العالم يقضون على أعدائهم وعلى المطالبين بالحرّيّة والعدالة والحقيقة، فنكّلوا بهم وقتلوهم شرّ قتلة، ومثّلوا بجُثَثهم، ظنّاً منهم أنّ موتهم سيُسكت صوت الحقّ، ويُرعب الدّاني والقاصي فلا يجرؤ أحدٌ على الثّورة... لكنّ سُنّةَ التّاريخ تُظهر عكس ذلك، فبموت الخُلّص واستشهادهم اهتزّت الأرض وأنبتَت مقامات شامخة...

في هذا التّحقيق نتوقّف عند أعتاب ضريح الشّهيد ميثَم التّمار، الّذي كان من صفوة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام.

قبل الوقوف على أحوال المقام الشّريف وما جرى فيه من تجديد، لا بدّ من التّعريف بصاحبه لتبيان مكانته وقُربه من أمير المؤمنين، عليه السّلام، وتفانيه في سبيل نصرة أهل البيت عليهم السّلام.

هو ميثَم بن يحيى النّهروانيّ، فارسيّ الأصل، كان عبداً مملوكاً عند امرأة من بني أسد قبل أن يعتقه أمير المؤمنين، عليه السّلام، ثمّ يصبح من أصحابه المقرّبين وصفوتهم.

ومن الواضح أنّ اسمه عربيّ، علماً أنّ جذوره أعجميّة؛ فـ«الوَثْمُ»: الكسرُ والدَّقُّ، ووَثَمَ الفَرَسُ الأَرْضَ: رَجَمَهَا بِحَوَافِره وَدَقَّهَا.

واسم أبيه عربيّ أيضاً، ويظهر أنّ الأعاجم استعلموا الأسماء العربيّة، بعد الفتح الإسلاميّ، ودخولهم أفواجاً في دين الله، أو استعملها الّذين لم يُسلموا بحكم الجوار العربيّ بعد نزول العرب الفاتحين في المناطق المتاخمة للفرس.

أمّا نسبته وهي – النّهروانيّ – فنسبةٌ إلى نهروان، الكورة الواسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشّرقيّ.

وعُرف بـ «مِيثَم التّمّار»، بعد عتقه وحرّيّته، وبيعه التّمر في دكّانه في سوق الكوفة.

في الروايات أن «ميثم التمّار» دُفن في موضع صلبه بالسَّبخة

من العبوديّة إلى الحريّة

لا تذكر المصادر تاريخ مولده. صحيحٌ أنّه نُسب إلى النّهروان، لكنّ دون تحديد البلدة التّي نشأ فيها في تلك الكورة الواسعة، ولا نعلم كيفيّة انتقال مِيثَم إلى مُلك امرأة من قبيلة أسد، جلّ ما يُذكر أنّ مِيثَماً التّمّار كان عبداً لامرأة من بني أسد، وعُرِفَ عندها باسم سالم، إذ كان من سُنن العرب أن يغيّروا أسماء العبيد والجواري الأصليّة، تفاؤلاً وطلباً للبركة. وفي هذا أورد الثّعالبيّ في كتابه (فقه اللّغة): «وقال بعضُ الشُّعوبيَّة لابن الكلبيّ: لِمَ سَمَّت العرب أبناءَها بكلب وأوس وأسد وما شاكلها، وسمَّت عبيدها بيُسر وسَعد ويُمن؟ فقال وأحسن: لأنّها سَمّت أبناءها لأعدائها وسمّت عبيدها لأنفسها».

وذكر ابن حجر العسقلانيّ في كتابه (الإصابة في تمييز الصّحابة) نقلاً عن المؤيّد بن النّعمان في مناقب الإمام عليّ عليه السّلام: «كان مِيثَم التّمّار عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه عليٌّ منها وأعتقه، وقال له: **ما اسْمُكَ؟** قال: سالم. قال: **أَخْبَرَني رَسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم أَنَّ اسْمَكَ الّذي سَمّاكَ بِهِ أَبَواكَ في العَجَمِ مِيثَمٌ.** قال: صدق الله ورسوله وأمير المؤمنين، والله، إنّه لاسْمي. قال: **فارْجِعْ إلى اسْمِكَ الّذي سَمَّاكَ بِهِ رَسولُ اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم، وَدَعْ سالِماً.** فرجع مِيثَم واكتنى بأبي سالم».

إذاً، اشتراه أمير المؤمنين، عليه السّلام، وأعتقه، ومن خلال ما دار من حديث بينه وبين مثيم عند سؤاله عن اسمه، يظهر طيب أصله ومعدنه لثنائه على رسول اللهِ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم، وعلى الإمام عليه السّلام.

يخضع مقام ميثم التمّار رضوان الله عليه لعملية توسعة مستمرة

مِيثَم من أصحاب الأمير المخلصين

قرّب أمير المؤمنين عليه السّلام مِيثَماً وأدناه، حتّى صار من أقرب النّاس إليه، وكان يتفقّده في السّوق أثناء بيعه التّمر، ويجالسه ويحدّثه. وكان يصحبه أحياناً عند المناجاة في الخلوات، وعند خروجه في اللّيل إلى الصّحراء، فيستمع مِيثَم إلى الأدعية والمناجاة، وهو من القلاقل الّذين صحبهم أمير المؤمنين في خلوات الدّعاء والتّضرّع لله تعالى.

عاش مِيثَم بالكوفة يناصر الإمام في الشّدّة والرّخاء، وفي الحرب والسّلم، وبقي ملازماً له، والإمام عليه السّلام، يتعهّده بالرّعاية والعناية، وأضحى من خُلّص أصحابه، يزقّه الإمام العلم زقّاً، فوعى واستوعب ما تعلّم حتّى قال مِيثَم لابن عبّاس: «سَلْنِي ما شئتَ من تفسير القرآن، فإنّي قرأتُ تنزيله على أمير المؤمنين، عليه السّلام، وعلّمني تأويلَه».

أمّا اهتمام الأمير بأمره، فانتشر بين الخاصّة والعامّة، فقد ورد في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد أنّ ميثَماً قدم «الكوفة فأُخذ وأُدخل على عبيد الله بن زياد، وقيل له هذا كان من آثَر النّاس عند أبي تراب. قال: ويحكم! هذا الأعجميّ؟! قالوا: نعم».

كما كان ميثَم التّمّار من خطباء الكوفة والمنافحين عن خطّ الإمامة، لا يخاف في الله لومة لائم، مُفضّلاً الموت على التّخلّي عن الإمام وأهل بيته عليهم السّلام، وفي هذا قال ميثَم: «دعاني أمير المؤمنين، عليه السّلام، وقال: **كَيْفَ أَنْتَ يا مِيثَمُ إِذا دَعاكَ دَعِيُّ بَني أُمَيَّةَ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيادٍ إِلى البَراءَةِ مِنّي؟** فَقُلْتُ: يا أميرَ المؤمنين، أنا والله لا أبرأُ منك، قال: **إِذاً، وَاللهِ، يَقْتُلُكَ وَيَصْلُبُكَ**، قلت: أصبر، فذاكَ في الله قليل، فقال عليه السّلام: **يا مِيثَمُ، إِذاً، تَكونُ مَعي في دَرَجَتي**».

منظر عام للمقام الواقع قريباً من مسجد الكوفة

وبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السّلام بقي ميثَم على ولائه لأهل البيت عليهم السّلام، فكان الحسنان عليهما السّلام يُثنيان عليه، في حياته، وبعد مماته. وقد عدّه الأئمّة الأطهار من خُلّص أصحاب الأمير وأصفيائه، وممّا قاله الإمام موسى الكاظم عليه السّلام في حقّه: «**إِذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ نادَى مُنادٍ: أَيْنَ حَواريّو مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَسولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الّذينَ لَمْ يَنْقُضوا العَهْدَ وَمَضَوْا عَلَيْهِ؟ فَيَقومُ سَلْمانُ وَالمِقْدادُ وَأَبو ذَرٍّ، ثُمَّ يُنادي مُنادٍ: أَيْنَ حَواريّو عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ، عَلَيْهِ السَّلامُ، وَصِيِّ رَسولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ فَيَقومُ عَمْرو بْنُ الحَمِقِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبي بَكْرٍ، وَمِيثَمُ بْنُ يَحْيى التَّمّارُ- مَوْلى بَني أَسَدٍ - وَأُوَيْسُ القَرَنِيُّ «..» ثُمَّ يُنادي المُنادي: فَهؤُلاءِ المُتَحَوّرَةُ أَوَّلُ السّابِقينَ، وَأَوَّلُ المُقَرَّبينَ، وَأَوَّلُ المُتَحَوّرينَ مِنَ التّابِعينَ**».

لقاؤه بأُمّ المؤمنين أمّ سلمة

حجّ ميثَم في السّنة التي قُتل فيها، فدخل على أمّ المؤمنين أُمّ سلمة رضيَ الله عنها، فقالت له: مَن أنت؟ فقال: عراقيّ، فسألته عن نسَبه، فذكر لها أنّه كان مولى الإمام عليّ عليه السّلام. فقالت: أنت هيثَم؟ قال: بل أنا ميثَم.

فقالت: سبحانَ الله، واللهِ لربّما سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يُوصي بك عليّاً في جوف اللّيل. فسألَها عن الحسين بن عليّ عليهما السّلام، فقالت: هو في حائطٍ [بستان] له. قال: أَخبِريهِ أنّي قد أحببتُ السّلامَ عليه، ونحنُ ملتَقون عند ربّ العالَمين إنْ شاءَ الله.. ثمّ دعتْ بطِيبٍ فطيّبت لحيتَه، فقال لها: أما أنّها ستُخضّب بدَم، فقالت: مَن أنبأَك هذا؟ فقال: أنبأني سيّدي، فبكت أُمّ سلَمة وقالت له: إنّه ليس بسيّدك وحدَك، وهو سيّدي وسيّد المسلمين، ثمّ ودّعته.

إخبار الإمام عليّ عليه السّلام بمقتل ميثَم

قال الإمام عليّ عليه السّلام لميثَم: «**وَاللهِ لَتُقْطَعَنَّ يَداكَ وَرِجْلاكَ وَلِسانُكَ، ولَتُقْطَعَنَّ النَّخْلَةُ الّتي في الكُناسَةِ، فَتُشَقُّ أَرْبَعَ قِطَعٍ، فَتُصْلَبُ أَنْتَ عَلى رُبْعِها، وَحِجْرُ بْنُ عَدِيٍّ عَلى رُبْعِها، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَكْثَمَ عَلى رُبْعِها، وَخالِدُ بْنُ مَسْعودٍ عَلى رُبْعِها**».

وفي خبر آخر: «**إِنَّكَ تُؤخَذُ بَعْدي، فَتُصْلَبُ وَتُطْعَنُ بِحَرْبَةٍ، فَإِذا كانَ اليَوْمُ الثّالِثُ، ابْتَدَرَ مَنْخِراكَ وَفَمُكَ دَماً، فَيُخَضِّبُ لَحْيَتَكَ، فَانْتَظِرْ ذَلِكَ الخِضابَ، وَتُصْلَبُ عَلى بابِ دارِ عَمْرو بْنِ حُرَيْثٍ «..» وَامْضِ حَتّى أُريكَ النَّخْلَةَ الّتي تُصْلَبُ عَلى جِذْعِها**».

فأراه إيّاها، ثمّ قال عليه السّلام: «**يا مِيثَمُ، لَكَ وَلَها شَأْنٌ مِنَ الشَّأْنِ**»، فكان ميثَم يأتيها ويُصلّي عندها، ويقول: بُوركتِ من نخلة، لك خُلقتِ، ولي غذّيتِ، ولم يزلْ يتعاهدها حتّى قُطعت، وحتّى عرف الموضعَ الذي يُصلب فيه.

وكان ميثَم يلقى عمرو بن حُرَيْثٍ ويقول له: إنّي مجاورك، فأحسِنْ جواري، فيقول له عمرو: أتريدُ أن تشتري دارَ ابنِ مسعود أو دار ابن حكيم؟ وهو لا يعلم ما يقصد بكلامه.

تحقّق ما أُخبر به من قتله رضي الله عنه

لمّا ولي عبيد الله بن زياد الكوفة، علم بالنّخلة الّتي بالكناسة فأمر بقطعها، فاشتراها رجلٌ من النجّارين فشقّها أربع قطع.

قال ميثَم: «فقلتُ لصالح ابني: فخُذْ مسماراً من حديدٍ فانقش عليه اسمي واسمَ أبي، ودُقَّه في بعض تلك الأجذاع..». ثمّ جرى على ميثَم مثل ما أخبره أمير المؤمنين عليه السلام؛ وقال صالح بن ميثَم: «فأتيتُ أبي متشحّطاً بدمه، ثمّ استوى جالساً فنادى بأعلى صوته: مَن أراد الحديثَ المكتوم عن عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، عليه السّلام، فليَستمع، فاجتمع النّاس، فأقبلَ يحدّثُهم بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أُميّة، وهو مصلوبٌ على الخشَبة»، حتّى استُشهد في الثّاني والعشرين من ذي الحجّة عام ٦٠ للهجرة، أي قبل وصول الإمام الحسين عليه السّلام إلى كربلاء بعشرة أيّام.

مقام ميثَم التّمّار

مقام ميثَم التّمّار قريبٌ من مسجد الكوفة الأعظم، على بعد خمسماية مترٍ منه، من جهة الجنوب الغربيّ، على يسار الذّاهب من الكوفة إلى النّجف الأشرف.

تاريخ الضّريح

لا نعلم التّاريخ الدّقيق لاكتشاف الضّريح، أمّا شكله قبل التّجديد الحالي، فيقول العلّامة محمّد حسين المظفّر في كتابه (ميثَم التّمّار شهيد العقيدة والولاء): «كان حول القبر سورٌ قديم يبعد عن غرفة القبر ما يقرب من خمسة أمتار، وإذا كشفوا التّراب قليلاً يظهر أساسه، وقد أرشدني إليه خازن قبر مسلم، عليه السّلام، الشّيخ طعمة ابن الشّيخ ياسين، وكان بعض الأساس مكشوفاً من جهة الشّرق، ويكاد أن يكون عرض هذا الأساس ما يقارب المتر الواحد؛ وذكر لي أنّهم وجدوا ما بين السّورَيْن القديم والحديث من الشّرق، قبوراً قديمة».

وكان على القبر قبّة واطئة لا يعرف المجاورون لمسجد الكوفة متى كان عهد بنائها، وقد غُشيت هذه القبّة بالقاشانيّ على يد الحاجّ عبّاس ناجي النّجفيّ. أما السّور الذي يحيط بالسّاحة التي حول القبر، فقد بناه السّيّد عطاء الله الأروميّ من أهل آذربيجان، وكان من طلبة العلوم الدّينيّة في النّجف الأشرف، وهو الّذي بنى الإيوان الذي أمامَ غرفة القبر، ورمّم الغرفة والقبّة، وله آثار ما زالت باقية في المسجد وما حوله.

ورمّم سور قبر ميثَم أحدُ تجّار مسقط عندما أحدث ترميمات في مسجد الكوفة. وكانت على القبر دكّة وعليها صخرة كُتب عليها اسم ميثَم، وأنّه صاحبُ أمير المؤمنين، عليه السّلام، والدّكّة والصّخرة اليوم تحت الصّندوق الخشبيّ الذي صنعه الحاجّ خضر سيّاب النّجفيّ، وكتب على الصّندوق: مرقد صاحب أمير المؤمنين عليه السّلام ميثَم بن يحيى التّمّار. سنة ١٣٦٠ للهجرة.

وعلى قبّة الضّريح كُتب بيتان من الشّعر للمرحوم السّيّد مهديّ البغداديّ:

السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبْدُ الصّالِحُ، يا مِيثَمُ بْنَ يَحْيَى التّمّار

أَيُّها المُدَّعي الوَلا لِعَلِيٍّ ... زُرْ وَلِيّاً لَدَيْهِ كانَ يُقيمُ

إِنَّ قَبْراً قَدْ ضَمَّ مِيثَماً ... قَبْرٌ فيهِ سِرٌّ مِنَ الوَلاءِ عَظيمُ

تجديد المقام

رأت الأمانة الخاصّة لمزار الصّحابيّ الجليل ميثَم التّمار في الكوفة ضرورةَ تجديد المقام وتوسيعه، ثمّ بدأت إدارته بالمشاريع الحيويّة. وانقسمت مراحل تطويره إلى ثلاث مراحل، الأولى هي مرحلة الهيكل بالكامل، والثّانية التّغليف، والثّالثة توسيع الصّحن الشّريف. وإنّ المبلغ المخصّص للمشروع هو بحدود ٦٢٥ مليار دينار عراقيّ ومدة إنجازه ثلاثمائة يوم.

بدأت المرحلة الأولى في ٣/ ٤/ ٢٠١١م، وشملت إعادة إعمار المرقد الشّريف بالكامل بعد هدمه، حيث بلغت مساحته الحالية،

بعد التّوسعة، ١١٠٠م٢ والّتي كانت سابقاً ٤١٣م٢. وشملت هذه المرحلة بناء هيكل المرقد الشّريف، تعلوه قبّة قطرها تسعة أمتار، ومنارتان بارتفاع ثمانية وعشرين متراً، وبقطر مترين ونصف. وجرى تغليف القبّة بالكاشي الكربلائيّ ذي اللّون الفيروزيّ، وتغليف المنارتين بمادّتي الكاشي الكربلائيّ والجفقيم (الطّابوق العراقيّ) المطَعّم بالكالوك. والمنارتان مزدانتان بالآيات القرآنيّة، وتحتويان على قوسَيْن أحداهما مخطوط عليها أقوال الأئمّة المعصومين، عليهم السّلام، والأخرى مخطوط عليه قصائد بحقّ الصّحابيّ الجليل ميثَم التّمّار رضوان الله عليه.

وشملت هذه المرحلة أيضاً صناعة كافّة الأبواب والنوافذ التّابعة للمرقد الشّريف وبتصاميم معماريّة خاصّة، وتثبيت المرايا من مادة (العين كار) للسّقوف الثّانويّة. كما شملت أيضاً بناء غرف للمولّدات والمحوّلات ومخازن لحاجيات المزار.

وبدأت المباشرة بالمرحلة الثّانية بتاريخ ١٧/ ١١/ ٢٠١٢ م، وتضمّنت تغليف المرقد الشّريف، حيث تمّ اعتماد نظام القبب، وقد جرى تغليف الضّريح من الخارج بطابوق الجفقيم والكاشي الكربلائيّ وبأجود أنواع المرمر (الأونكس) الباكستانيّ المنشأ، أمّا الواجهة فجرى تطعيمها بـ(الجفقيم) الذي استخدم في جزء من المنارة، وفق تصاميم معماريّة معدّة لهذا الغرض، وبما يتلائم مع العمارة الإسلاميّة للمراقد المقدّسة. كما جرى تزيين المقام من الدّاخل بالآيات القرآنيّة. وقد اكتملت هذه المرحلة في خلال سنتين تقريباً

أمّا المرحلة الثّالثة، فتشمل توسعة الصّحن الشّريف وبعد الموافقة الرّسميّة من ديوان الوقف الشّيعيّ، حصل الإذن بالحصول على المساحات المحيطة بالصّحن الشّريف ليتسنّى التّوسعة بما يتلاءم مع التّطوّر العمرانيّ الذي يشهده المزار خدمةً للزّائرين بما يوفّر لهم الرّاحة.

اكتشاف آثار مهمّة أثناء تجديد المقام

صورة قديمة للمقام قبل تجديده

كشف الشّيخ خليفة الجوهر، الأمين الخاصّ لمزار الصّحابيّ ميثَم التّمّار عن العثور على قبّتين مدفونتَين تحت الأرض في مدينة الكوفة يرجع تاريخهما إلى أكثر من أربعماية عام. وأوضح أنّ القبّتين موجودتان تحت الأرض: قبّة فوق قبّة، ورأس القبّة يبعد عن الأرض ثلاثة أمتار تقريباً، وهذا يعني أنّها مبنيّة على مستوى أرض قصر الإمارة تقريباً، ما يدلّ على وجود مرقد كامل تحت الأرض. وأكّد أنّهم لم يحفروا أكثر ممّا حُفر منذ خمسين عاماً، ولم يتمّ تغيير أيّ شيء، وأُرجع التّراب إلى ما كان عليه سابقاً قبل الحفر حفاظاً على قدسيّة المكان.

زيارة ميثَم التّمّار رضوان الله عليه

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها العَبْدُ الصّالِحُ، يا مِيثَمَ بْنَ يَحْيَى التّمّار، الْمُطيعُ للهِ وَلِرَسولِهِ وَلِأَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَلِفاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ. أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلاةَ، وَآتَيْتَ الزَّكاةَ، وَأَمَرْتَ بِالمَعْروفِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجاهَدْتَ في اللهِ حَقّ جِهادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ، مُقْتَدِياً بِالصّالِحينَ، وَمُتّبِعاً للنَّبِيّينَ. وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلوماً شَهيداً، فَلَعَنَ اللهُ مَنْ ظَلَمَكَ، وَمَنْ افْتَرى عَلَيْكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ نَصَبَ لَكَ العَداوَةَ وَالبَغْضاءَ إِلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَحَشا اللهُ قُبورَهُمْ ناراً وَأَعَدّ لَهُمْ عَذاباً أَليماً. جِئْتُكَ أَيُّها العَبْدُ الصّالِحُ زائِراً قَبْرَكَ، مُقِرّاً بِحَقِّكَ، مُعْتَرِفاً بِفَضْلِكَ، أَسْأَلُ اللهَ بِالشَّأْنِ الّذي لَكَ عِنْدَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ يَقْضِيَ حَوائِجَنا في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَيَجْمَعَنا وَإِيّاكُمْ في زُمْرَةِ الفائِزينَ مَعَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الشَّهيدُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

مراقبات شهر شوّال

عيدُ الفِطر: يومُ الرّحمة، والبشارة من اللّٰه تعالى

إعداد: «شعائر»

خصّصت «شعائر» في هذا الباب، واستناداً إلى حديث المعصومين عليهم السلام، ما ينبغي على المؤمن أن يتعهّده في شهر شوّال من العبادات والمعاملات.

وفي «مراقبات» هذا الشهر الكريم، مختارات من عددٍ من الروايات الشريفة حول آدابه وفضائله العبادية.

في (معجم لغة الفقهاء): «شَوّال: .. الشهرُ العاشر، بين رمضان وذي القعدة، جمعُه شوّالات». وقال في (صبح الأعشى): «الشهرُ العاشر شوّال، سمِّي بذلك أخذاً من شالت الإبل بأذنابها.. وقيل: من شالَ يشولُ: إذا ارتفع».

وفي (إقبال الأعمال): «قيلَ للنّبيّ صلّى الله عليه وآله: يا رسولَ الله، ما شهرُ رمضان؟ فقال صلّى الله عليه وآله: **شهرُ رمضان، أرمضَ** – أي أحرقَ – **اللهُ تعالى فيه ذنوبَ المؤمنين، وغفرَها لهم.**

قيل: يا رسولَ الله، فشوّال؟ قال: **شَالَتْ** – أي ارتفعت – **فيهِ ذنوبُهم، فلم يبقَ فيه ذنبٌ إلّا غفرَه**»

ليلةُ العيد

قال الشيخ المفيد في (مسارّ الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة):

«شهر شوّال، أوّل ليلة منه:

* فيها: غسلٌ عند وجوب الشمس، كما ذكرنا ذلك في أوّل ليلة من شهر رمضان.

* وفيها: دعاء الاستهلال، وهو عند رؤية الهلال.

* وفيها: ابتداء التكبير عند الفراغ من فرض المغرب، وانتهاؤه عند الفراغ من صلاة العيد من يوم الفطر، فيكون ذلك في عقب أربع صلوات. وشرحه أن يقول المصلّي عند السّلام من كلّ فريضة:

(اللهُ أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ، لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ [وَللهِ الحَمْدُ]، الحَمْدُ للهِ عَلى ما هَدانا، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلى ما أَوْلانا).

فبذلك ثبتت السُّنّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، وجاءت الأخبار بالعمل به عن الصّادقين من عترته، عليهم السّلام.

* ومن السُّنّة في هذه الليلة – ما وردت الأخبار بالترغيب فيه، والحضّ عليه – أن يسجد الإنسان بعد فراغه من فريضة المغرب، ويقول في سجوده:

(يَا ذَا الحَوْلِ، يَا ذَا الطَّوْلِ، يَا مُصْطَفِياً مُحَمَّداً وَنَاصِرَهُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَاغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ وَنَسِيتُهُ أَنا، وَهُوَ عِنْدَكَ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ).

ثم يقول: (أَتُوبُ إِلى اللهِ) مائة مرّة، وَلْيَنْوِ عند هذا القول ما تاب منه من الذّنوب ونَدِمَ عليه إن شاء الله تعالى.

* ويستحبّ أن يصلّي في هذه الليلة ركعتَين:

يقرأ في الأولى منهما (فاتحة الكتاب) مرّة واحدة، وسورة (الإخلاص) ألف مرّة.

وفي الثانية بـ (الفاتحة)، وسورة (الإخلاص) مرّة واحدة.

فإنّ الرواية جاءت بأنّه مَن صلّى هاتَين الركعتين في ليلة الفطر، لم ينتقل من مكانه، وبينه وبين الله تعالى ذنبٌ إلّا غفرَه.

* وتطابقت الآثار عن أئمّة الهدى عليهم السلام بالحثّ على القيام في هذه اللّيلة، والانتصاب للمسألة، والاستغفار، والدّعاء. ورُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان لا ينام فيها، ويحييها بالصّلاة والدّعاء والسّؤال، ويقول: (**فِي هَذِهِ اللَّيلَةِ يُعْطَى الأَجِيرُ أَجْرَهُ**)».

اليوم الأوّل من شوّال: يوم عيد الفطر

في (جنّة الأمان الواقية) للشّيخ إبراهيم الكفعميّ، المعروف بـ (مصباح الكفعميّ)، قال: «وهو – أي شهر شوّال – أوّل أشهر الحجّ، وأوّل يومٍ منه عيد الفطر، ويقال له: يوم الرّحمة لأنّ الله تعالى يرحمُ فيه عبادَه».

وفي (توضيح المقاصد) للشيخ بهاء الدّين العامليّ: «الشهر العاشر شهر شوّال. الأوّل منه يوم عيد الفطر ويُسمّى يوم الرحمة. ويستحبّ فيه زيارة أبي عبد الله عليه السلام، وكذا في ليلته... وفيه أوحى الله سبحانه إلى النحل صنعةَ العسل كما قال سبحانه: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾». (النحل:٦٨-٦٩)

وفي (مسارّ الشيعة) للشيخ المفيد: «أوّل يوم من شوّال، وهو يوم عيد الفطر، وإنّما كان عيدَ المؤمنين بمسرّتهم بقبول أعمالهم، وتكفير سيّئاتهم، ومغفرة ذنوبهم، وما جاءهم من البشارة من عند ربّهم – جلّ اسمه – من عظيم الثواب لهم على صيامهم، وقربهم، واجتهادهم. وفي هذا اليوم:

* غسلٌ، وهو علامة التطهير من الذنوب.

* والتوجّه إلى الله تعالى في طلب الحوائج، ومسألة القبول.

* ومن السُّنّة فيه الطِّيب، ولبس أجمل الثياب، والخروج إلى الصحراء، والبروز للصلاة تحت السماء.

* ويستحبّ أن يتناول الإنسان فيه شيئاً من المأكول قبل التوجّه إلى

عيدُ من غُفِرَ لَهُ

«عن سُوَيد بن غفلة، قال: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام يومَ عيد، فإذا عنده فاثور [أي خُوان] عليه خبز السَّمراء [خبز الحنطة] وصَحفَةٌ فيها خطيفةٌ ومِلبَنة [الخطيفة: طعام بسيط من اللّبن والدقيق، والملبنة: الملعقة]

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، يوم عيدٍ وخَطيفة؟! فقال: **إنّما هذا عيدُ من غُفِرَ لَهُ**».

(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد

الدعاء بعدَ صلاة العيد

«وردتْ دعوات كثيرة بَعد صلاة العيد، ولعلّ أحسنَها هُوَ الدُّعاء السادس والأَربعون مِن (الصحيفة الكاملة). ويُستَحبّ أن يبرز في صلاة العيد تَحتَ السماء، وأن يُصلّي عَلى الأَرْض مِن دون بساط ولا بارية، وأن يرجع عن المُصلَّى مِن غير الطريق الَّذي ذَهَبَ مِنه، وأن يدعو لإخوانه المؤمنين بقبول أعمالهم».

(مفاتيح الجنان)

أَشبَهُ بيَوم القيامة

«.. عن الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيهِ السّلامُ، قَالَ: **خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيهِ السّلامُ النَّاسَ يَوْمَ الْفِطْرِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَخْسَرُ فِيهِ الْمُسِيئُونَ، وَهُوَ أَشْبَهُ يَوْمٍ بِيَوْمِ قِيَامَتِكُمْ. فَاذْكُرُوا بِخُرُوجِكُمْ مِنْ مَنَازِلِكُمْ إِلَى مُصَلَّاكُمْ خُرُوجَكُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّكُمْ. وَاذْكُرُوا بِوُقُوفِكُمْ فِي مُصَلَّاكُمْ وُقُوفَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكُمْ. وَاذْكُرُوا بِرُجُوعِكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ رُجُوعَكُمْ إِلَى مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ..**».

(أمالي الصدوق)

الصّلاة، وأفضل ذلك السُّكَّر. ويستحبّ تناول شيء من تربة الحسين عليه السلام، فإنّ فيها شفاءً من كلّ داء. ويكون ما يؤخَذ منها مبلغاً يسيراً.

* وصلاة العيد في هذا اليوم فريضةٌ مع الإمام، وسُنَّةٌ على الانفراد [يُفتي الفقهاء بكونها تصلّى جماعةً – في زمن الغَيبة – برجاء المطلوبيّة]، وهي ركعتان بغير أذانٍ ولا إقامة، ووقتُها عند انبساط الشمس بعد ذهاب حُمرتها، وفي هاتَين الركعتَين اثنتا عشرة تكبيرة، منها سبعٌ في الأولى مع تكبير الافتتاح والركوع، وخمس في الثانية مع تكبيرة القيام. والقراءة فيها عند آل الرسول عليهم السلام قبل التكبير، والقنوت فيها بين كلّ تكبيرتَين بعد القراءة.

* وفي هذا اليوم فريضةُ إخراج الفِطرة، ووقتها من طلوع الشمس إلى الفراغ من صلاة العيد، فمَن لم يُخرجها من ماله وهو متمكّن من ذلك قبل مضيّ وقت الصلاة فقد ضيّع فرضاً، واحتقبَ مأثماً. ومن أخرجها من ماله فقد أدّى الواجب، وإنْ تعذّر عليه وجود الفقراء. والفطرة زكاةٌ واجبة، نطق بها القرآن، وسنَّها النبيّ صلّى الله عليه وآله، وبها يكون تمامُ الصّيام، وهي من الشكر لله تعالى على قبول الأعمال..».

الخامس والعشرون من شوّال شهادة الإمام الصادق عليه السلام

في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة ١٤٨ للهجرة، كانت شهادة الإمام أبي عبد الله، جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، في المدينة المنوّرة عن خمسة وستّين عاماً. مدّة إمامته منها أربعٌ وثلاثون سنة، وقد استُشهد عليه السلام بسُمٍّ دسّه له الملك العبّاسيّ المنصور الدوانيقيّ، ودُفن في البقيع.

يُزار عليه السّلام في هذا اليوم بزيارة (أمين الله)، وهي في غاية الاعتبار ومرويّة في جميع كُتب الزيارات والمصابيح، وقال العلّامة المجلسيّ: «إنّها أحسن الزيارات متناً وسنَداً، وينبغي المواظبة عليها في جميع الروضات المقدّسة». كذلك يُزار الإمام الصادق عليه السّلام بإحدى الزيارات الجامعة، وهي ما يُزار به كلّ إمام من الأئمّة عليهم السلام، وهي عديدة، ذكرها المحدّث القمّيّ في (مفاتيح الجنان) تحت عنوان: (فصل في الزيارات الجامعة).

الإمام زين العابدين عليه السلام يومَ العيد

«عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ، قال: كنتُ بالمدينة وقد وليَها مروان بن الحكم من قِبَل يزيد بن معاوية، وكان شهر رمضان، فلمّا كان في آخر ليلةٍ منه أمر مناديه أن ينادي في الناس بالخروج إلى البقيع لصلاة العيد.

فغدوتُ من منزلي أريد إلى سيّدي عليّ بن الحسين عليهما السلام غَلَسَاً*، فما مررتُ بسكّةٍ من سكَك المدينة إلّا لقيتُ أهلَها خارجين إلى البقيع، فيقولون: إلى أين تريدُ يا جابر!؟

فأقول: إلى مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، حتّى أتيتُ المسجدَ فدخلتُه، فما وجدتُ فيه إلّا سيّدي عليَّ بن الحسين عليهما السلام قائماً يصلّي صلاةَ الفجر وحده، فوقفتُ وصلّيتُ بصلاته، فلمّا أنْ فرغَ من صلاته سجدَ سجدةَ الشكر، ثمّ إنّه جلس يدعو، وجعلتُ أُؤَمّن على دعائه، فما أتى إلى آخر دعائه حتّى بزغتِ الشمس. فوثبَ قائماً على قدَميه تجاه القبلة وتجاه قبر رسول اللهّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثمّ إنّه رفع يدَيه حتّى صارتا بإزاء وجهه، وقال:

(إِلَهِي وَسَيِّدِي، أَنْتَ فَطَرْتَنِي وَابْتَدَأْتَ خَلْقِي لَا لِحَاجَةٍ مِنْكَ إِلَيَّ بَلْ تَفَضُّلًا مِنْكَ عَلَيَّ. وَقَدَّرْتَ لِي أَجَلًا وَرِزْقاً لَا أَتَعَدَّاهُمَا، وَلَا يَنْقُصُنِي أَحَدٌ مِنْهُمَا شَيْئاً. وَكَنَفْتَنِي مِنْكَ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْكِفَايَةِ طِفْلًا وَنَاشِئاً مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ عَمِلْتُهُ فَعَلِمْتَهُ مِنِّي فَجَازَيْتَنِي عَلَيْهِ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ تَطَوُّلًا عَلَيَّ وَامْتِنَاناً**.. إلى آخر الدعاء).

(إقبال الأعمال لابن طاوس)

* الغَلَسَ: ظلام آخر اللّيل، وقبيل الفجر.

** هذه الفقرة هي من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام يوم الفِطر، لكنه غير دعائه عليه السلام يوم الفطر والجمعة الوارد في نسَخ الصحيفة وأوّله: (يَا مَنْ يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُهُ العِبَادُ). والدعاء المذكور هنا ورد في الصحيفة السجّاديّة الجامعة، تحقيق السيّد محمود الأبطحيّ.

موجز في التّفسير

سورة التغابن

سليمان بيضون

*** السّورة الرابعة والسّتّون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلت بعد سورة التحريم.**

*** سُمّيت بـ «التغابن» لقوله تعالى في الآية التاسعة منها: ﴿.. ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ..﴾.**

*** آياتها ثماني عشرة، وهي مدَنيّة، مَنْ قرأها في فريضة كانت شفيعةً له يوم القيامة كما عن الإمام الصادق عليه السلام.**

في ما يلي موجز في تفسير السّورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، و(الأمثل) للمرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشّيخ عبد عليّ الحويزيّ.

«يوم التغابن: يومُ القيامة؛ لظهور الغَبن في المبايعة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ..﴾ البقرة:٢٠٧، وبقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ التوبة:١١١، وبقوله: ﴿.. إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ..﴾ آل عمران:٧٧، فعلموا أنّهم غُبنوا فيما تركوا من المبايعة، وفيما تعاطوه من ذلك جميعاً.

وسُئل بعضُهم عن يوم التَّغَابُنِ؟ فقال: تبدو الأشياءُ لهم بخلاف مقاديرهم في الدّنيا. قال بعضُ المفسّرين: أصل الْغُبْنِ: إخفاء الشيء، والْغَبَنُ بالفتح: الموضعُ الذي يَخفى فيه الشيء».

(المفردات، الراغب الأصفهانيّ)

هدف السورة

(**تفسير الميزان**): «السورة شبيهةٌ بسورة الحديد في سياقٍ كسياقها، ونَظْمٍ كنَظْمِها، كأنّها مُلخّصة منها، وغرَضُها تحريض المؤمنين وترغيبهم في الإنفاق في سبيل الله، ورفْع ما يهجس في قلوبهم ويدبّ في نفوسهم من الأسى والأسف على المصائب التي تهجم عليهم في تحمّل مشاقّ الإيمان بالله، والجهاد في سبيل الله والإنفاق فيه، بأنّ ذلك كلّه بإذن الله.

والآياتُ من صدر السورة تقدِمة وتمهيد لبيان الغرض المذكور، تُبيّن أنّ أسماءه، تعالى، الحسنى وصفاته العليا، تقضي بالبعث ورجوع الكلّ إليه سبحانه، رجوعاً يُساق فيه أهلُ الإيمان والعمل الصالح إلى جنّةٍ خالدة، وأهلُ الكفر والتكذيب إلى نارٍ مؤبّدة، فهي تمهيدٌ للأمر بطاعة الله ورسوله، والصبر على المصائب والإنفاق في سبيل الله من غير تأثّرٍ من منع مانعٍ، ولا خوفٍ من لَوْمة لائم».

محتوى السورة

(**تفسير الأمثل**): يمكن تقسيم هذه السورة من حيث المواضيع التي احتوتها إلى عدّة أقسام:

١ - بداية السورة التي تبحث في التوحيد وصفات الله تعالى وأفعاله.

٢ - حثّ الناس على ملاحظة أعمالهم ظاهراً وباطناً، وأن لا يغفلوا عن مصير الأقوام السابقين.

٣ - الحديث عن المعاد، وأنّ يوم القيامة «يوم تغابن»، تُغبن فيه جماعة وتفوز فيه جماعة.

٤ - الأمر بطاعة الرسول، صلّى الله عليه وآله، وتحكيم قواعد النبوّة.

٥ - يأمر الله تبارك وتعالى في القسم الأخير من السورة بالإنفاق في سبيله، ويحذّر من الانخداع بالأموال والأولاد والزوجات. وتختم السورة بذكر صفات الله تبارك وتعالى.

ثواب تلاوة السورة

*** عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ التَّغَابُنِ رُفِعَ [دُفِعَ] عَنْهُ مَوْتُ الفَجْأَةِ».**

*** وعن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال: « مَنْ قَرَأَ سورَةَ التَّغابُنِ فِي فَرِيضَةٍ كانَتْ شَفيعَةً لَهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَشاهِدَ عَدْلٍ عند من يُجيزُ شهادتها، ثمّ لا تُفارِقُهُ حَتّى يَدْخُلَ الجَنَّةَ».**

تفسيرُ آياتٍ منها

قوله تعالى: ﴿..فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ..﴾ الآية:٢.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الآية فقال: «عَرَفَ اللهُ إيمانَهُمْ بِوِلايَتِنا وَكُفْرَهُمْ بِها؛ يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الميثاقَ في صُلْبِ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَهُمْ ذَرٌّ».

قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا..﴾ الآية:٨.

سأل أبو خالد الكابليّ الإمام الباقر عليه السلام عن الآية، فأجاب: «يا أَبا خالِدٍ، النّورُ، وَاللهِ، الأئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إلى يَوْمِ القِيامَةِ، وَهُمْ، وَاللهِ، نورُ اللهِ الّذي أَنْزَلَ، وَهُمْ، وَاللهِ، نورُ اللهِ في السَّماواتِ وَفي الأَرْضِ. وَاللهِ يا أَبا خالِدٍ، لَنورُ الإمامِ في قُلوبِ المُؤْمِنينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ المُضيئَةِ بِالنَّهارِ، وَهُمْ، وَاللهِ يُنَوِّرونَ قُلوبَ المُؤْمِنينَ وَيَحْجُبُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، نورَهُمْ عَمَّنْ يَشاءُ فَتُظْلِمُ قُلوبُهُمْ. وَاللهِ يا أَبا خالِدٍ، لا يُحِبُّنا عَبْدٌ وَيَتَوَلّانا حَتّى يُطَهِّرَ اللهُ قَلْبَهُ، وَلا يُطَهِّرُ اللهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتّى يُسَلِّمَ لَنا وَيَكونَ سِلْماً لَنا، فَإِذا كانَ سِلْماً لَنا سَلَّمَهُ اللهُ مِنْ شَديدِ الحِسابِ وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ القِيامَةِ الأَكْبَرِ».

قوله تعالى: ﴿..ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ..﴾ الآية:٩.

النبيّ صلّى الله عليه وآله: «ما مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ - لَوْ أَساءَ - لِيَزْدادَ شُكْراً، وما مِنْ عَبْدٍ يَدْخُلُ النّارَ إلّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ - لَوْ أَحْسَنَ - لِيَزْدادَ حَسْرَةً».

قوله تعالى: ﴿..وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ..﴾ الآية:١١.

الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ القَلْبَ لَيَرَجَّجُ فيما بَيْنَ الصَّدْرِ وَالحَنْجَرَةِ حَتّى يُعْقَدَ عَلى الإيمانِ، فَإِذا عُقِدَ عَلى الإيمانِ قَرَّ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾».

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية:١٤.

الإمام الباقر عليه السلام: «.. وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ كانَ إذا أَرادَ الهِجْرَةَ إلى رَسولِ الله، صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، تَعَلَّقَ بِهِ ابْنُهُ وَامْرَأَتُهُ، وَقالوا: نُنْشِدُكَ اللهَ أَنْ تَذْهَبَ عَنّا وَتَدَعَنا فَنَضيعَ بَعْدَكَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُطيعُ أَهْلَهُ فَيُقيمُ، فَحَذَّرَهُمُ اللهُ أَبْناءَهُمْ وَنِساءَهُمْ، وَنَهاهُمْ عَنْ طاعَتِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْضي وَيَذَرُهُمْ، وَيَقولُ: أَما وَاللهِ، لَئِنْ لَمْ تُهاجِروا مَعي، ثُمَّ يَجْمَعِ اللهُ بَيْني وَبَيْنَكُمْ في دارِ الهِجْرَةِ لا أَنْفَعُكُمْ بِشَيْءٍ أَبَداً. فَلَمّا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُحْسِنَ إلَيْهِمْ وَيَصِلَهُمْ، فَقالَ: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾».

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾ الآية:١٥.

أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يَقولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ إنّي أَعوذُ بِكَ مِنَ الفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إلّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلّاتِ الفِتَنِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ يَقولُ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ..﴾».

قوله تعالى: ﴿..وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الآية:١٦.

* الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أَدّى الزَّكاةَ فَقَدْ وُقِيَ شُحَّ نَفْسِهِ».

** قال الفضل ابن أبي قُرَّة: رأيت أبا عبد الله، عليه السلام، يطوف من أوّل اللّيل إلى الصباح وهو يقول: «اللَّهُمَّ قِني شُحَّ نَفْسي». فقلت: جُعلت فداك، ما سمعتُك تدعو بغير هذا الدعاء. قال: «وَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدُّ مِنْ شُحِّ النَّفْسِ، وَإِنَّ اللهَ يَقولُ: ﴿.. وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾».

يوم التّغابن، هو يومُ القيامة؛ ذلك أنّ الأشياء تبدو للكافرين بخلاف موازينهم في الدنيا، فيعلمون بأنّهم غَبنوا أنفسهم بتَركهم طاعة الله تعالى

﴿.. ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ..﴾

التوبة طهارةٌ من ألواث البُعد والشقاء

العلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ

التوبة هي رجوعٌ من العبد إلى الله سبحانه بالنّدامة، والانصراف عن الإعراض عن العبوديّة، ورجوعٌ من الله إلى العبد رحمةً بتوفيقه للرجوع إلى ربّه، أو بغفران ذنبه. وهي إحدى الحقائق العالية الإسلاميّة والتعاليم الراقية القرآنيّة.

ما يلي مختصر بحث للعلّامة السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ رحمه الله، أورده في الجزء الرابع من موسوعته القيّمة (الميزان في تفسير القرآن) بعد تفسيره للآيتين ١٧ و١٨ من سورة النساء، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

حلّل القرآن الكريم حال الإنسان بحسب وقوع الدعوة عليه وتعلُّق الهداية به، فوجده - بالنّظر إلى الكمال والكرامة والسعادة الواجبة له في حياته الأخرويّة عند الله سبحانه، التي لا غنى له عنها في سيره الاختياريّ إلى ربّه - فقيراً كلَّ الفقر في ذاته، صِفرَ الكفّ بحسب نفسه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ فاطر:١٥.

وقال: ﴿..وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ الفرقان:٣.

فهو واقعٌ في مهبط الشقاء ومنحطّ البُعد ومنعزل المسكنة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ التين:٤-٥.

وإذا كان كذلك، فوروده منزلة الكرامة واستقراره في مستقرّ السعادة يتوقّف على انصرافه عمّا هو فيه من مهبط الشقاء ومُنْحَطّ البعد، وانقلاعه عنه برجوعه إلى ربّه، وهو توبتُه إليه في أصل السعادة؛ وهو الإيمان، وفي كلّ سعادة فرعيّة؛ وهي كلّ عمل صالح، أعني [بما تقدّم] التوبة والرجوع عن أصل الشقاء وهو الشرك بالله سبحانه، وعن فروعات الشقاء وهي سيّئات الأعمال بعد الشرك، فالتوبة بمعنى الرجوع إلى الله والانخلاع عن ألواث البُعد والشقاء يتوقّف عليها الاستقرار في دار الكرامة بالإيمان، والتنعّم بأقسام نِعم الطاعات والقربات، وهي بمعنى الرجوع إلى الله تعمّ التوبتَين جميعاً، بل تعمّهما وغيرهما.

التوبة رجوعٌ من الله تعالى إلى العبد بالتّوفيق

ثمّ إنّ الإنسان لمّا كان فقيراً في نفسه، لا يملك لنفسه خيراً ولا سعادة قطُّ إلّا بربّه، كان محتاجاً في هذا الرجوع أيضاً إلى عناية من ربّه بأمره، وإعانةٍ منه له في شأنه، فيحتاج رجوعه إلى ربّه بالعبوديّة والمسكنة إلى رجوعٍ من ربّه إليه بالتوفيق والإعانة، وهو توبة الله سبحانه لعبده المتقدّمة على توبة العبد إلى ربّه، كما قال تعالى: ﴿.. ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ..﴾ التوبة:١١٨.

وكذلك الرجوع إلى الله سبحانه يحتاج إلى قبوله بمغفرة الذنوب، وتطهيره من القذارات وألواث البُعد، وهذه هي التوبة الثانية من الله سبحانه المتأخّرة عن توبة العبد إلى ربّه كما قال تعالى: ﴿.. فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ..﴾ النساء:١٧.

وإذا تأمّلتَ حقّ التأمّل وجدتَ أنّ التعدّد في توبة الله سبحانه إنّما عُرِضَ لها من حيث قياسها إلى توبة العبد، وإلّا فهي توبة واحدة، [و] هي رجوع الله سبحانه إلى عبده بالرحمة، ويكون ذلك عند توبة العبد رجوعاً إليه، قبلَها وبعدها.

وكذلك القرب والبُعد لمّا كانا نِسبيّين أمكن أن يتحقّق البُعد في مقام القرب بنسبة بعض مواقفه ومراحله إلى بعض، ويصدق

حينئذٍ معنى التوبة على رجوع بعض المقرّبين من عباد الله الصالحين من موقفه الذي هو فيه إلى موقفٍ أرفع منه وأقرب إلى ربّه، كما يشهد به ما يحكيه تعالى من توبة الأنبياء وهم معصومون بنصّ كلامه، كقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ..﴾ البقرة:٣٧.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ..﴾ البقرة:١٢٧، إلى قوله: ﴿..وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة:١٢٨.

سبعُ حقائق عن التوبة

فتلخّص ممّا مرّ:

أوّلاً: أنّ نشر الرحمة من الله سبحانه على عبده لِمغفرة ذنوبه وإزالة ظلمة المعاصي عن قلبه - سواءٌ في ذلك الشرك وما دونه - توبةٌ منه تعالى لعبده (على عبده)، وأنّ رجوع العبد إلى ربّه لمغفرة ذنوبه وإزالة معاصيه، سواء في ذلك الشرك وغيره، توبةٌ منه إلى ربّه.

ويتبيّن به أنّ من الواجب في الدعوة الحقّة أن تعتنيَ بأمر المعاصي كما تعتني بأصل الشرك، وتندب إلى مطلق التوبة، الشامل للتوبة عن الشرك والتوبة عن المعاصي.

ثانياً: أنّ التوبة من الله سبحانه لعبده - أعمُّ من المبتدئة واللاحقة - فضلٌ منه كسائر النِّعم التي يتنعّم بها خلقُه من غير إلزامٍ وإيجابٍ يَرِد عليه تعالى من غيره، وليس معنى وجوب قبول التوبة عليه تعالى، عقلاً، إلّا ما يدلّ عليه أمثال قوله تعالى: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ..﴾ المؤمن:٣، وقوله: ﴿..وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ النور:٣١، من الآيات المتضمّنة لتوصيفه تعالى بقبول التوبة، والنادبة إلى التوبة الداعية إلى الاستغفار والإنابة وغيرها، المشتملة على وعد القبول بالمطابقة أو الالتزام، والله سبحانه لا يُخْلف الميعاد.

ثالثاً: أنّ التوبة كما يستفاد من مجموع ما تقدّم من الآيات المنقولة وغيرها إنّما هي حقيقةٌ ذاتُ تأثيرٍ في النفس الإنسانيّة من حيث إصلاحها وإعدادها للصلاح الإنسانيّ الذي فيه سعادة دنياه وآخرته. وبعبارة أخرى: التوبة إنّما تنفع إذا نفعت في إزالة السيّئات النفسانيّة التي تجُرّ إلى الإنسان كلّ شقاء في حياته الأولى والأخرى، وتمنعه من الاستقرار على أريكة السعادة. وأمّا الأحكام الشرعيّة والقوانين الدينيّة، فهي بحالها، لا ترتفع عنه بتوبة كما لا ترتفع عنه بمعصية.

رابعاً: أنّ الملاك الذي شُرّعت لأجله التوبة هو التخلّص من هلاك الذنب وبوار المعصية، لكونها - أي التوبة - وسيلةَ الفلاح ومقدّمةَ الفوز بالسعادة، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿..وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ النور:٣١.

ومن فوائدها مضافاً إلى ذلك، أنّ فيها حفظاً لروح الرجاء من الانخماد والركود، فإنّ الإنسان لا يستقيم سيرُه الحيويّ إلّا بالخوف والرجاء المتعادلَين حتّى يندفعَ عمّا يضرّه وينجذبَ إلى ما ينفعه، ولولا ذلك لهلك. قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ..﴾ الزمر:٥٣-٥٤، ولا يزال الإنسان على ما نعرف من غريزته على نشاطٍ من الروح الفعّالة وجِدٍّ في العزيمة والسعي ما لم تخسرْ صفقتُه في متجر الحياة، وإذا بدا له ما يُخسر عمله ويُخيب سعيه ويبطِل أمنيّته استولى عليه اليأس وانسلّت به أركان

التوبة هي حقيقةٌ ذاتُ تأثيرٍ في النفس الإنسانيّة من حيث إصلاحها وإعدادها لسعادتها في الدّارَين

عمله، وربّما انصرف بوجهه عن مسيره آيساً من النجاح خائباً من الفوز والفلاح، والتوبةُ هي الدواء الوحيد الذي يعالجُ داءَه، ويُحيي به قلبَه، وقد أشرف على الهلَكة والرّدى.

خامساً: أنّ المعصية - وهي الموقف السوء من الإنسان - ذاتُ أثر سيّء في حياته لا يُتاب منها ولا يرجَع عنها إلّا مع العلم والإيقان بمساءتها، ولا ينفكّ ذلك عن الندم على وقوعها أوّلاً، والندمُ تأثّر خاصّ باطنيّ من فعل السَّيّء، **ويتوقّف على استقرار هذا الرجوع ببعض الأفعال الصالحة المنافية لتلك السيّئة الدالّة على الرجوع والتوبة ثانياً.**

وإلى هذا يرجع جميع ما اعتُبر شرعاً من آداب التوبة، كالندم والاستغفار والتلبّس بالعمل الصالح والانقلاع عن المعصية، إلى غير ذلك ممّا وردت به الأخبار وتعرّضت له كُتب الأخلاق.

سادساً: أنّ التوبة وهي الرجوع الاختياريّ عن السيّئة إلى الطاعة والعبوديّة إنّما تتحقّق في ظرف الاختيار وهو الحياة الدنيا، وأمّا فيما لا اختيار للعبد هناك في انتخاب كلٍّ من طريقَي الصلاح والطلاح، والسعادة والشقاوة، فلا مسرحَ للتوبة فيه.

ومن هذا الباب التوبةُ فيما يتعلّق بحقوق الناس، فإنّها إنّما تُصلِح ما يتعلّق بحقوق الله سبحانه، وأمّا ما يتعلّق من السيّئة بحقوق الناس ممّا يُحتاج في زواله إلى رضاهم فلا يُتدارك بها البتّة، لأنّ الله سبحانه احترمَ الناس بحقوقٍ جعلها لهم في أموالهم وأعراضهم ونفوسِهم، وعدَّ التعدّي على أحدهم في شيء من ذلك ظلماً وعدواناً، وحاشاه أن يسلبَهم شيئاً ممّا جعله لهم من غير جُرمٍ صدرَ منهم، فيأتي هو نفسه بما ينهى عنه ويظلمهم بذلك، وقد قال عزّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ..﴾ يونس:٤٤.

ومن هذا الباب أيضاً توبة من سَنّ سُنّة سيّئة أو أضلّ الناس عن سبيل الحقّ، وقد وردت أخبارٌ أنّ عليه مثلَ أوزار من عمِل بها أو ضلّ عن الحقّ، فإنّ حقيقة الرجوع لا تتحقّق في أمثال هذه الموارد لأنّ العاصي أحدث فيها حدثاً له آثارٌ يبقى ببقائها ولا يتمكّن من إزالتها، كما في الموارد التي لا تتجاوز المعصية ما بينه وبين ربّه عزّ اسمه.

سابعاً: أنّ التوبة وإن كانت تمحو ما تمحوه من السيّئات - كما يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿..فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ..﴾ البقرة:٢٧٥، بل ظاهر قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا﴾ الفرقان:٧٠-٧١، وخاصّة بملاحظة الآية الثانية أنّ التوبة بنفسها أو بضميمة الإيمان والعمل الصالح توجب تبدّل السيّئات حسنات - إلّا أنّ اتّقاء السيّئة أفضل من اقترافها ثمّ إمحائها بالتوبة، فإنّ الله سبحانه أوضح في كتابه أنّ المعاصي كيفما كانت إنّما تنتهي إلى وساوس شيطانيّة نوعَ انتهاء، ثمّ عبّر عن المخلَصين المعصومين عن زلّة المعاصي وعثرة السيّئات بما لا يعادله كلُّ مدح ورد في غيرهم، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ..﴾ الحجر:٣٩-٤٢، وقال تعالى حكايةً عن إبليس أيضاً في القصّة: ﴿..وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ الأعراف:١٧.

فهؤلاء من الناس مختصّون بمقام العبوديّة التشريفيّة اختصاصاً لا يشاركهم فيه غيرُهم من الصالحين التائبين.

اتّقاءُ السيّئة أفضلُ من اقترافها ثمّ محوِها بالتّوبَة

الدَّعوة الحقّة تعتني بأمر المَعاصي كما تَعتني بأصل الشرك، وتندب إلى مُطلَق التوبة؛ الشّامل للتّوبة عن الشِّرك والتّوبَة عن المَعاصي

مناسبات شهر شوّال

إعداد: «شعائر»

١ شوّال

عيد الفطر المبارك.

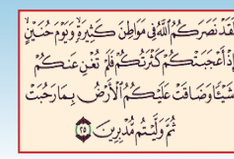

٤ شوّال/ ٨ هجريّة

غزوة حُنين. (قيل في العاشر منه)

٥ شوّال

* ٣٦ هجريّة: خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى صِفّين.

٨ شوّال/ ١٣٤٤ هجريّة

الوهّابيّون يهدمون أضرحة أئمّة أهل البيت عليهم السلام، المدفونين في البقيع.

١٥ شوّال

* ٣ هجريّة: معركة أُحُد.
* ٥ هجريّة: غزوة الأحزاب أو الخندق.

١٩ شوّال/ ١٦٩ هجريّة

سَجْنُ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام بأمرٍ من هارون العبّاسيّ.

٢٠ شوّال/ ١٠ هجريّة

وفاة إبراهيم ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله.

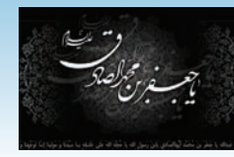

٢٥ شوّال/ ١٤٨ هـجريّة

شهادة الإمام جعفر الصّادق عليه السلام.

أبرز مناسبات شهر شوّال

تُقدّم «شعائر» مقتطفات من أمّهات المصادر ترتبط بأبرز مناسبات شهر شوّال، كمَدخل إلى حُسن التفاعل مع أيّامه الإلهيّة، مع الحرص على عناية خاصّة بالمناسبات المُرتبطة بالمعصومين عليهم السّلام.

اليوم الأوّل: عيدُ الفطر السّعيد

* روي عن الإمام الرضا عليه السلام: «**إنَّما جُعِلَ يَوْمُ الفِطْرِ العيدَ لِيَكونَ لِلْمُسْلِمينَ مُجْتَمَعاً فيهِ، وَيَبْرُزونَ إلى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، فَيُمَجِّدونَهُ عَلى ما مَنَّ عَلَيْهِمْ، فَيَكونُ يَوْمَ عيدٍ، وَيَوْمَ اجْتِماعٍ، وَيَوْمَ فِطْرٍ، وَيَوْمَ زَكاةٍ، وَيَوْمَ رَغْبَةٍ، وَيَوْمَ تَضَرُّعٍ؛ وَلِأَنَّهُ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ يَحِلُّ فيها الأَكْلُ وَالشُّرْبُ، لِأَنَّ أَوَّلَ شُهورِ السَّنَةِ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ شَهْرُ رَمَضانَ، فَأَحَبَّ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَكونَ لَهُمْ في ذَلِكَ مَجْمَعٌ يَحْمَدونَهُ فيهِ وَيُقَدِّسونَهُ**».

(علل الشرائع، الشيخ الصدوق)

** وعنه عليه السلام: «**كانَ أميرُ المُؤْمِنينَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، لا يَنامُ ثَلاثَ لَيالٍ: لَيْلَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ، وَلَيْلَةَ الفِطْرِ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ..**».

(مصباح المُتهجّد، الشيخ الطوسيّ)

«كانَ أميرُ المُؤْمِنينَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، لا يَنامُ ثَلاثَ لَيالٍ: لَيْلَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ، وَلَيْلَةَ الفِطْرِ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ..»

اليوم الخامس والعشرون: شهادةُ الإمام الصّادق عليه السلام

«لمّا أراد المنصور [العبّاسيّ] قتلَ أبي عبدالله عليه السلام استدعى قوماً من الأعاجم لا يفهمون ولا يعقلون، فخلع عليهم الديباج المثقّل والوشيّ المنسوج، وحُملت إليهم الأموال، ثمّ استدعاهم - وكانوا مائة رجل - وقال للترجمان: قل لهم: إنّ لي عدوّاً يدخل عليّ الليلة، فاقتلوه إذا دخل.

فأخذوا أسلحتَهم ووقفوا مُمْتَثلين لأمره، فاستدعى [المنصورُ] جعفراً عليه السلام وأمره أن يدخل وحده، ثمّ قال للترجمان: قل لهم: هذا عدوّي فقطّعوه. فلمّا دخل الإمام تعاوَوا عَوْيَ الكلاب، ورَمُوا أسلحتهم، وكتّفوا أيديَهم إلى ظهورهم، وخَرّوا له سُجّداً ومَرّغوا وجوههم على التراب. فلمّا رأى المنصور ذاك خاف، وقال [للصادق عليه السلام]: ما جاء بك؟ قال عليه السلام: **أَنْتَ، وَما جِئْتُكَ إِلّا مُغْتَسلاً مُحَنَّطاً**، فقال المنصور: معاذَ الله أن يكون ما تزعم، ارجع راشداً. فخرج جعفر، عليه السلام، والقوم على وجوههم سُجّداً، فقال [المنصور] للترجمان: قل لهم: لِمَ لا قتلتم عدوَّ المِلك؟ فقالوا: نقتلُ وليَّنا الذي يلقانا كلَّ يوم، ويُدبّر أُمورنا كما يدبّر الرجل أمرَ ولْده، ولا نعرف وليّاً سواه؟! فخاف المنصور من قولهم، فسرّحهم تحت اللّيل، ثمّ قتلَه، عليه السلام، بعد ذلك بالسمّ».

(بحار الأنوار، العلّامة المجلسيّ)

اليوم التّاسع عشر: سَجْنُ الإمام الكاظم عليه السلام

* عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**فَقيهٌ واحِدٌ يُنْقِذُ يَتيماً مِنْ أَيْتامِنا المُنْقَطِعينَ عَنّا وَعَنْ مُشاهَدَتِنا بِتَعْليمِ ما هُوَ مُحْتاجٌ إِلَيْهِ، أَشَدُّ عَلى إِبْليسَ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ، لِأَنَّ العابِدَ هَمُّهُ ذاتُ نَفْسِهِ فَقَطْ،**

وَهَذا هَمُّهُ مَعَ ذاتِ نَفْسِهِ، ذَواتُ عِبادِ اللهِ وَإِمائِهِ لِيُنْقِذَهُمْ مِنْ يَدِ إِبْليسَ وَمَرَدَتِهِ، فَلِذَلِكَ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ وَأَلْفِ أَلْفِ عابِدَةٍ».

(الاحتجاج، الطبرسيّ)

** وسأله رجلٌ عن «الجواد»؟ فقال عليه السلام: **«إِنَّ لِكَلامِكَ وَجْهَيْنِ: فَإِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ عَنِ المَخْلوقينَ، فَإِنَّ الجَوادَ الَّذي يُؤَدّي ما افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ، وَالبَخيلَ مَنْ بَخِلَ بِما افْتَرَضَ اللهُ؛ وَإِنْ كُنْتَ تَعْني الخالِقَ، فَهُوَ الجَوادُ إِنْ أَعْطى، وَهُوَ الجَوادُ إِنْ مَنَعَ، لِأَنَّهُ إِنْ أَعْطاكَ أَعْطاكَ ما لَيْسَ لَكَ، وَإِنْ مَنَعَكَ مَنَعَكَ ما لَيْسَ لَكَ».**

(الكافي، الكلينيّ)

اليوم الثّامن: هدمُ أضرحة الأئمّة عليهم السلام المدفونين في البقيع

في الثامن من شوال عام ١٣٤٤ للهجرة (١٩٢٥م)، اقترف الوهّابيّون وآل سعود – وفي تحدٍّ صارخ لمشاعر المسلمين في أرجاء المعمورة – جريمة هدم القباب المُشيّدة على أضرحة البقيع في المدينة المنوّرة، وفي مقدّمها مشاهد الأئمّة من أهل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وآله، زاعمين أنّ زيارة قبور الأنبياء والأولياء وتعظيمها شركٌ بالله تعالى. (انظر: «الملّف» من هذا العدد)

اليوم الخامس عشر: أُحُد، والأحزاب

* معركة أُحُد (السّنة الثّالثة من الهجرة)

قال السيّد شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ، رحمه الله، في (شرح إحقاق الحق):

«نظمَ بعضُ أعلام العامّة من نعوت أمير المؤمنين ويعسوب الدين، وذكروه في كتبهم ليتقرّبوا به إلى الله تعالى، منهم العلّامة شهاب الدين أحمد بن عبد الله الحسينيّ الشيرازيّ الشافعيّ في (توضيح الدلائل) قال: وقد وقع لي بيتٌ من قصيدة لحسّان بن ثابت الذي هو مدّاح النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وهو هذا:

جِبْريلُ نادى في السَّماءِ وَالنَّقْعُ لَيْسَ بِمُنْجَلي ... لا سَيْـفَ إِلّا ذو الفَقارِ وَلا فَـتى إِلّا عَـليّ

فتتبّعته، وخَمّستُ المصرع الأخير:

... بَدْرٌ سَما فَوْقَ السَّماءِ مُتعالِياً أَعْلى الرُّتَبِ ... بَحْرٌ طَما عِلْماً فَسادَ بِهِ خَضاريمَ العَرَبِ

بَـرٌّ لَـقَدْ عَـمَّ الـبَرِيَّـةَ بِـرُّهُ عالـي النَّـسَـبِ ... جِبْريلُ نادى في السَّما بِمَقالَةٍ تَجْلو الكُرَبِ

لا سَيْفَ إِلّا ذو الفَقارِ وَلا فَتى إِلّا عَليّ».

***

** معركة الأحزاب أو الخندق (السّنة الخامسة من الهجرة)

«عاش المسلمون ظروفاً حالكة محفوفة بالأخطار في معركة الأحزاب. ذلك أنّ العدوّ شنّ عليهم هجوماً عنيفاً في عُقر دارهم، فطفقوا يحفرون الخندق باقتراح الصحابيّ الجليل سلمان الفارسيّ، رضوان الله عليه، ليَحولوا دون تقدّم العدوّ إلى داخل المدينة. فعرضتْ في أثناء الحفر صخرةٌ عظيمة لم يؤثّر فيها المعوَل. فأخبروا نبيّهم، صلّى الله عليه وآله، فجاء، فلمّا رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول فقال: **بسم الله**، ثمّ ضرب ضربةً فكسر ثُلثَها، وقال: **الله أكبر! أُعطِيتُ مفاتيحَ الشام! واللهِ إنّي لَأُبصِرُ قصورَها الحمراء السّاعة!** ثمّ ضرب الثانية فقطع الثلثَ الآخر، فقال: **الله أكبر! أُعطيتُ مفاتيحَ فارس! واللهِ إنّي لأُبصر قصرَ المدائن الأبيض!** ثمّ ضرب الثالثة وقال: **بسم الله**، فقطع بقيّة الحجر وقال: **الله أكبر! أُعطيتُ مفاتيحَ اليمن! واللهِ إنّي لأبصر أبوابَ صنعاء من مكاني هذا السّاعة!**

ولم يتوقّع أحد تحقّق الانتصارات المذكورة في مثل تلك الأوضاع العصيبة المتوترة التي بلغت مبلغاً أنّ أحد الحاضرين قال للآخر بعد سماع الكلام النبويّ: يَعِدُنا بكنوز كِسرى وقَيصر ولا يأمن أحدُنا أن يبرحَ مكانه خوفاً من العدو».

(القيادة في الإسلام، الريشهريّ)

الخَوْفُ رَفيقُ القَلْبِ، وَالرَّجاءُ شَفيعُ النَّفْسِ

إعداد: «شعائر»

يسمو المؤمن إلى الله، عزَّ وجلّ، بجناحَي الخوف والرّجاء، فإذا استويا بلغ مراتب الإيمان العالية، ويَنْعُمُ القلبُ بالرّجاء بمقدار ما يستقرّ فيه من الخوف.

ما يلي، أحاديثُ شريفةٌ في حقيقة الخوف والرّجاء، يليها كلمات للعلّامة القزوينيّ من كتابه (رحلة في أعماق النّفس).

الخَوف مظنّةُ الأمن

* أمير المؤمنين عليه السلام: «خَفِ اللهَ خَوْفَ مَنْ شَغَلَ بِالفِكْرِ قَلْبَهُ، فَإِنَّ الخَوْفَ مَظَنَّةُ الأَمْنِ وَسِجْنُ النَّفْسِ عَنِ المَعاصي».

** الإمام الصّادق عليه السلام: «الْمُؤْمِنُ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ، ذَنْبٍ قَدْ مَضَى لَا يَدْرِي مَا صَنَعَ اللهُ فِيهِ، وَعُمُرٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي مَا يَكْتَسِبُ فِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ، فَهُوَ لَا يُصْبِحُ إِلَّا خَائِفاً وَلَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْخَوْفُ».

لا تَرجوا أحداً.. سواه

* أمير المؤمنين عليه السلام: «اجْعَلوا كُلَّ رَجائِكُمْ لله، سُبْحانَهُ، وَلا تَرْجوا أَحَداً سِواهُ، فَإِنَّهُ ما رَجا أَحَدٌ غَيْرَ اللهِ تَعالى إِلَّا خابَ».

** عن الإمام الصّادق عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ..﴾ المؤمنون:٦٠: «مِنْ شَفَقَتِهِمْ وَرَجائِهِمْ، يَخافونَ أَنْ تُرَدَّ إِلَيْهِمْ أَعْمالُهُمْ إِذا لَمْ يُطيعوا، وَهُمْ يَرْجونَ أَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ».

.. فاجمَعوا بينَهما!

* رسول الله صلى الله عليه وآله: «لَوْ تَعْلَمونَ قَدْرَ رَحْمَةِ اللهِ لاتَّكَلْتُمْ عَلَيْها وَما عَمِلْتُمْ إِلّا قَليلاً، وَلَوْ تَعْلَمونَ قَدْرَ غَضَبِ اللهِ لَظَنَنْتُمْ بِأَنْ لا تَنْجوا».

* أمير المؤمنين عليه السلام: «وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ، فَاجْمَعوا بَيْنَهُما! فَإِنَّ العَبْدَ إِنَّما يَكونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ، عَلى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ؛ وَإِنَّ أَحْسَنَ النّاسِ ظَنّاً بِاللهِ، أَشَدُّهُمْ خَوْفاً للهِ».

* وعنه عليه السّلام: «خَفْ رَبَّكَ خَوْفاً يَشْغَلُكَ عَنْ رَجائِهِ، وَارْجُهُ رَجاءَ مَنْ لا يَأْمَنُ خَوْفَهُ».

* الإمام الصّادق عليه السلام: «الخَوْفُ رَفيقُ القَلْبِ، وَالرَّجاءُ شَفيعُ النَّفْسِ، وَمَنْ كانَ بِاللهِ عارِفاً، كانَ مِنَ اللهِ خائِفاً، وَإِلَيْهِ راجِياً، وَهُما جَناحا الإيمانِ..».

* وسئل عليه السّلام: «..فمن ينجو؟ قال: الّذينَ هُمْ بَيْنَ الرَّجاءِ وَالخَوْفِ، كَأَنَّ قُلوبَهُمْ في مِخْلَبِ طائِرٍ شَوْقاً إِلى الثَّوابِ وَخَوْفاً مِنَ العَذابِ».

قال العلماء

«رُوِيَ عن الإمام الباقر عليه السّلام قوله: «إِنَّه لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وفِي قَلْبِهِ نُورَانِ، نُورُ خِيفَةٍ ونُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، ولَوْ وُزِنَ هَذَا لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا».

والملاحَظ هنا أنّ الإمام عليه السلام يعبِّر عن الخوف بـ«النّور»، وعن الرّجاء أيضاً بـ«النّور»، وما ذلك إلّا لأنّ كلَيهما مُتّصلٌ بالله تعالى. وما كان مُتّصلاً بالله سبحانه لا يكون إلّا نوراً. أضِف إلى ذلك، أنّهما من أهمّ عوامل هداية البشر، وإصلاح الذّات. فإنّ الخوف من غير الله عزّ وجلّ، لو اعترى النّفس أورثها تعتيماً وظُلْمَة، ولكنّه متى كان من عند الله، تبارك وتعالى، استنارت به النّفسُ، ولزِمَت جانبَ الحيطة والحذر، فإذا اقترنَ به نورُ الرّجاء، عاشت النّفسُ سعيدةً هانئة».

(القزوينيّ، رحلة في أعماق النفس – بتصرّف)

أعداد الفرائض، ومواقيت اليوميّة ونوافلها*

الإمام الخمينيّ قدس سره

مسألة ١) الصلاة واجبة ومندوبة، فالواجبة خمس: اليوميّة، ومنها الجمعة، وكذا قضاء الولد الأكبر عن والده، وصلاة الآيات، والطواف الواجب، والأموات، وما التزمه المكلّف بنذر أو إجارة أو غيرهما، وفي عَدّ الأخيرة في الواجب مسامحة، إذ الواجب هو الوفاء بالنذر ونحوه، لا عنوان الصلاة.

والمندوبة أكثر من أن تُحصى، منها الرواتب اليوميّة، وهي:

- ثمانُ ركعات للظُّهر قبله.
- وثمانٌ للعصر قبله.
- وأربعٌ للمغرب بعده.
- وركعتان من جلوس للعشاء، بعده، تُعَدّان بركعة، تُسمّى بالوتيرة، ويمتدّ وقتها بامتداد وقت صاحبها.
- وركعتان للفجر قبل الفريضة، ووقتها الفجر الأوّل، ويمتدّ إلى أن يبقى من طلوع الحُمْرَة مقدار أداء الفريضة. «..»
- وإحدى عشرة ركعة نافلة اللّيل: صلاة اللّيل ثمان ركعات، ثمّ ركعتا الشفع، ثمّ ركعة الوتر، وهي مع الشفع أفضل صلاة اللّيل، وركعتا الفجر أفضل منهما، ويجوز الاقتصار على الشفع والوتر، بل على الوتر خاصّة عند ضيق الوقت، وفي غيره يأتي به رجاء.

ووقتُ صلاة الليل نصفُه إلى الفجر الصادق، والسَّحَر أفضل من غيره، والثلث الأخير من الليل كلّه سَحَر، وأفضله القريب من الفجر، وأفضل منه التفريق كما كان يصنعه النبيّ، صلّى الله عليه وآله.

فعدد النوافل - بعد عَدّ الوتيرة ركعة - أربع وثلاثون ركعة ضعفَ عدد الفرائض، وتسقط في السفر الموجب للقصر ثمانية الظهر وثمانية العصر، وتثبت البواقي، والأحوط الإتيان بالوتيرة رجاءً.

مسألة ٢) الأقوى ثبوت صلاة الغُفَيْلة، وليست من الرواتب، وهي ركعتان بين صلاة المغرب وسقوط الشفق الغربيّ على الأقوى، يُقرأ في الأولى بعد الحمد: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأنبياء:٨٧-٨٨)

وفي الثانية بعد الحمد: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَـٰبٖ مُّبِينٖ﴾ (الأنعام:٥٩)

فإذا فرغ، رفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَفَاتِحِ الْغَيْبِ الَّتِي لا يَعْلَمُهَا إِلّا أَنْتَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وأَنْ تَفْعَلَ لِي كَذَا وكَذَا**». فيدعو بما أراد.

ثمّ قال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ وَلِيُّ نِعْمَتِي والْقَادِرُ عَلَى طَلِبَتِي تَعْلَمُ حَاجَتِي، فَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْه وعَلَيْهِمُ السَّلامُ لَمَّا قَضَيْتَهَا لِي**»، وسألَ الله حاجته أعطاه الله، عزّ وجلّ، ما سأله إن شاء الله.

مسألة ٣) يجوز إتيان النوافل الرواتب وغيرها جالساً حتّى في حال الاختيار، لكن الأَوْلى حينئذ عدّ كلّ ركعتين بركعة، حتّى في الوتر، فيأتي بها مرّتين كلّ مرّة ركعة.

مسألة ٤) وقت نافلة الظهر من الزوال إلى الذراع - أي سبعَي الشاخص - والعصر إلى الذراعين - أي أربعة أسباعه - فإذا وصل إلى هذا الحد يقدّم الفريضة.

مسألة ٥) لا إشكال في جواز تقديم نافلتَي الظهر والعصر على الزوال في يوم الجمعة، بل يزاد على عددهما أربع ركعات فتصير عشرين ركعة، وأمّا في غير يوم الجمعة فعدم الجواز لا يخلو من قوّة، ومع العلم بعدم التمكّن من إتيانهما في وقتهما فالأحوط الإتيان بهما رجاءً، ويجوز تقديم نافلة الليل على النصف للمُسافر والشابّ الذي يخاف فَوْتها في وقتها، بل وكلّ ذي عذرٍ كالشيخ وخائف البرد أو الاحتلام، وينبغي لهم نيّة التعجيل لا الأداء.

* (تحرير الوسيلة)

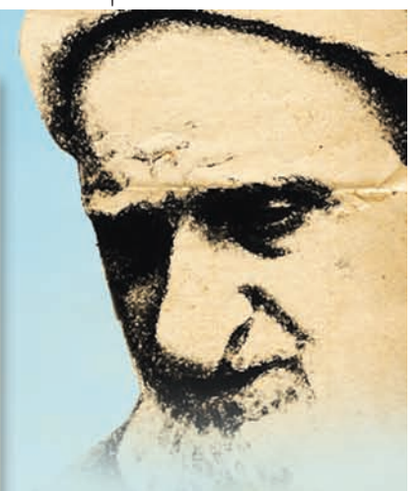

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين:

استَعِن بالدّنيا.. للنّجاة في الآخرة

هذه المقتطفات هي من ترجمة خاصّة بـ «شعائر» لكتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازة مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ محمد تقي بهجت قدس سره. نشير إلى أنّ الكتاب يتضمّن توجيهات معنويّة مختصرَة جرى اقتباسها، بعناية، من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

♦ ما لم **نتغيّر**؛ فإنّ ما يأتينا من السّماء لن يتغيّر. معَ ذلك، ترانا نقترفُ ما يقطعُ عنّا غيثَ الرّحمة الإلهيّة، ويقلبُ النّعمة **نقمةً وعذاباً**!

♦ إنّ الإنسان يصنعُ بنفسه ما لا يصنعُه به أيّ عدوّ، فهو الذي يجفّف في وجوده **يُنبوع الصّلاح**.. إلى أن تقوم السّاعة!

♦ نرجو من الله تعالى أن تكونَ **المسائل المادّية** مجرّدَ وسيلةٍ لنا، فإذا أقبلتْ علينا الدنيا، كانت سبباً أوكَد لانصرافنا **إلى قضايا الرّوح، وشؤون الآخرة**.

السّجود والبكاء، بعدَ طلب الحاجة

♦ ينبغي على مَن له **حاجة مهمّة** أن يؤدّي إحدى الصّلوات أو العبادات المذكورة لطلب الحاجة. وإذا أراد تثبيتَ الأمر، وتأكيدَه، **والوصولَ القطعيّ** إليه، فعليه أن يبادر إلى **السّجود** بعد طلب الحاجة، وأن **يحاول البكاءَ، ولو بمقدار جناح ذبابة**؛ فإنّ ذلك علامة قضاء الحاجة.

♦ نسألُ اللهَ تعالى أن يرزقَنا **اليقين**!... ما أحسن أن يكون بالُ الإنسان مرتاحاً في أمر **معاشه**؛ إذ إنّ همَّ الرّزق أسوأ من مشقّة العمل. ومَن ابتُلي بِهَمِّ الرّزق، فإنّه يعملُ ليلَه ونهاره، وتراه **دائمَ الغَمّ**!

دوامُ استحضار الله تعالى، أمانٌ من شياطين الإنس والجنّ

♦ كيف يجدرُ بنا أن نكون متى أدركنا أنّ الله تعالى **حاضرٌ** في كلّ مكان، **وناظرٌ** إلى أعمالنا؟!... كيف يجدرُ بنا أن نكون في محضر الذّات الإلهيّة التي لا تفارقنا، وهي معنا أينما كنّا، وانفصالُها عنّا محال، بل هي حاضرةٌ في كلّ مكانٍ وبصيرةٌ بنا على كلّ حال. كيف يجب أن نكون بحيث لا نرتكب المعاصي؟! كلّما قَوِيَ **إدراكُنا لهذا الحضور**، كُنّا محفوظين أكثر، وكنّا في أمانٍ من ارتكاب المعاصي. وكلّما ضَعُفَ هذا الإدراك، كنّا في خطرٍ أكبر، وفي موضعٍ أقلَّ أمناً وصيانةً من الزّلَل.

♦ إذا انحرفنا قليلاً عن الصّراط، فإنّ **شياطينَ الإنس والجنّ** سوف تتحكّم فينا. إذا اهتدى الإنسانُ إلى طريق النّجاح والفلاح، فَلْيَطمَئنّ قلبُه إلى أنّه قد بلغَ الهدف. فَلْنَتعهّد [حينها] ونلتزم **بأنْ نسيرَ على صراط الله تعالى، وأنْ لا نرتكبَ المحرّمات، ولا نقرَبَ صغائر الذّنوب**...

الملف

اقرأ في الملف

استهلال	من زيارة الأئمّة الأربعة عليهم السلام في البقيع
جنّة البقيع	مدخل
بقيع الغرقد في كتب (الرحلات)	إعداد: «شعائر»
هكذا هدم الوهّابيّون القبور الطاهرة	إعداد: أسرة التحرير
الوهّابيّة: استراتيجيّة الغرب في محو آثار النبوّة	شمس الدين العجلانيّ
في نقض فتاوى تحريم زيارة القبور	الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء

إستهلال

من زيارة الأئمة الأربعة عليهم السلام بالبقيع

السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَئِمَّةَ الهُدَىٰ،
السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ التَّقْوَىٰ،
السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الحُجَجُ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا.
السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا القُوَّامُ فِي البَرِيَّةِ بِالقِسْطِ
السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الصَّفْوَةِ،
السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ النَّجْوَىٰ،
أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللهِ
وَكُذِّبْتُمْ وَأُسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ
الرَّاشِدُونَ المَهْدِيُّونَ وَأَنَّ طَاعَتَكُمْ مُفْتَرَضَةٌ "..."
طِبْتُمْ وَطَابَ مَنْبَتُكُمْ، مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنَا دَيَّانُ الدِّينِ
فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
اسْمُهُ. وَجَعَلَ صَلَاتَنَا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنَا وَكَفَّارَةً
لِذُنُوبِنَا وَاخْتَارَكُمُ اللهُ لَنَا وَطَيَّبَ خَلْقَنَا بِمَا مَنَّ عَلَيْنَا
مِنْ وِلَايَتِكُمْ..

المزار - الشهيد الأول

جنّةُ البقيع

البقيع: هي بقعة طاهرة مقابل المسجد النبويّ الشريف في المدينة المُنوّرة، وتضمّ أضرحة أربعة من أئمّة المسلمين من أهل بيت رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وهم:

١ ـ الإمام الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٢ ـ الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

٣ ـ الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام.

٤ ـ الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

كما يضمّ البقيع أيضاً: بيت الأحزان، وهي الحجرة التي بناها أمير المؤمنين، عليه السلام، للصدّيقة الكبرى بعد وفاة رسول الله، صلّى الله عليه وآله،، وكانت تأوي إليها عندما تأذّى طغاة المدينة والمُرتدّون على الأعقاب من بكائها على أبيها صلوات الله عليها.

ويضمّ البقيع أيضاً قبر والدة أمير المؤمنين السيّدة فاطمة بنت أسد، وقبر العبّاس بن عبد المطّلب عم النبيّ ﷺ وقبر إبراهيم ابن رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وقبور عددٍ من عمّات النبيّ، صلّى الله عليه وآله، وزوجاته، وبعض أصحابه – وفي مقدّمهم الصحابيّ الجليل عثمان بن مظعون – وعددٍ من شهداء صدر الإسلام، والعديد من الأولياء وكبار شخصيّات المسلمين، وفي بعض التواريخ أنّ عشرة آلاف صحابيّ دُفنوا فيه.

وقد كان البقيع منذ عهد رسول الله ﷺ مزاراً للمؤمنين إلى يومنا هذا، ولكنّ الوهّابيّين السعوديّين أقدموا في مناسبتَين على هدم تلك الأضرحة والقباب الطاهرة، ومنعوا المسلمين من تأدية شعائرهم الدينيّة وممارسة معتقداتهم الشرعيّة.

تبلغ مساحة البقيع الحاليّة مائة وثمانين ألف متر مربّع. ويُعدّ البقيع من أقرب الأماكن التاريخيّة إلى مبنى المسجد النبويّ حالياً.

والبقيع في اللّغة: المكان المتّسع، أو موضعٌ من الأرض فيه أَرومُ شجرٍ من ضروب شتّى، وبه سُمّي بقيع الغَرقد بالمدينة المنوّرة، لأنّ هذا النوع من الشجر كان كثيراً فيه ثمّ قُطع. وقيل: لا يُسمّى البقيع بقيعاً إلّا وفيه شجرٌ أو أصولها.

وروى المسلمون جميعاً أحاديث عدّة عن رسول الله في فضل البقيع، وأنّه صلّى الله عليه وآله، كان يزور البقيع ويدعو لمَن دُفن فيه.

* ففي (كامل الزيارات) لابن قولويه عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «**كانَ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يَخْرُجُ في مَلَإٍ مِنَ النّاسِ مِنْ أَصْحابِهِ كُلَّ عَشِيَّةِ خَميسٍ إلى بَقيعِ المَدَنِيّينَ فَيَقولُ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ** – ثلاثاً – **رَحِمَكُمُ اللهُ** – ثلاثا – ثمّ يلتفت إلى أصحابه فيقول: **هَؤُلاءِ خَيْرٌ مِنْكُمْ**.

فيقولون: يا رسول اللهَ، وَلِمَ؟ آمنوا وآمنّا وجاهدوا وجاهدنا.

فيقول: **إنَّ هَؤُلاءِ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسوا إيمانَهُمْ بِظُلْمٍ، وَمَضَوْا عَلَى ذَلِكَ، وَأَنا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ شَهيدٌ. وَأَنْتُمْ تَبْقَوْنَ بَعْدي وَلا أَدْري ما تُحْدِثونَ بَعْدي**».

* وفي (صحيح مسلم) أنّ النبيّ، صلّى الله عليه وآله، كان يخرج من آخر اللّيل إلى البقيع، فيقول: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ، وَأَتاكُمْ ما تُوعَدونَ غَداً مُؤَجَّلونَ، وَإِنّا إِنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقيعِ الغَرْقَدِ**».

بقيع الغرقد كما وصفه المؤرّخون والرحّالة العرب

إعداد: «شعائر»

البقيع مدافنُ أهل المدينة المُنوّرة. وقد يُقال له: بقيع الغرقَد. وأصلُ البقيع في اللّغة: الموضعُ الذي فيه أروم الشّجر من ضروبٍ شتّى، والغرقَد كبارُ العوسَج.

وقيل: كان البقيع مقبرةً قبل الإسلام، وورد ذكره في مرثيّة عمرو بن النعمان البياضيّ لقومه:

أَيْنَ الّذينَ عَهِدْتُهُمْ في غِبْطَةٍ
بَيْنَ العَقيقِ إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ

إلّا أنّه بعد الإسلام خُصِّص لدفن موتى المسلمين فقط، وكان اليهود يدفنون موتاهم في مكانٍ آخر يُعرَف بـ (حشّ كوكب)، وهو بستان يقع جنوب شرقيّ البقيع.

هذا المقال، يُعرّف بأبرز الأعلام المدفونين في البقيع، مستشهداً بما ورد في كتابات الرحّالة والمؤرّخين المسلمين منذ القرن السابع وحتّى القرن الهجريّ الرابع عشر، وتحديداً حتّى قبيل جريمة هدم مقامات بقيع الغرقد بسنوات.

في بعض المصادر التاريخيّة أنّ البقيع كان بستاناً يحوي أشجاراً من العَوسج، وأوّل مَن دُفن فيه من المسلمين هو أسعد بن زرارة الأنصاريّ، وكان من الأنصار.

ثمّ دُفن بعده الصحابيّ الجليل عثمان بن مظعون، وهو أوّل مَن دُفن فيه من المسلمين المُهاجرين، وقد شارك رسول الله، صلّى الله عليه وآله، بنفسه في دفنه.

ثمّ دُفن إلى جانبه إبراهيم ابن الرّسول، صلّى الله عليه وآله، ولذلك رغب المسلمون فيه، وقطعوا الأشجار ليستخدموا المكان للدفن.

وصْفُ محمّد بن أحمد بن جُبَير (ت: ٦١٤ للهجرة)

يقول ابن جُبَير في (رحلته): «...وبقيع الغرقد شرقيّ المدينة، تخرج إليه على بابٍ يُعرَف بـ(باب البقيع)، وأوّل ما تلقى عن يسارك عند خروجك، من الباب المذكور، مشهد صفيّة عمّة النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، أمّ الزبير بن العَوّام، وأمام هذه التربة قبر مالك بن أَنَس الإمام المدنيّ، وعليه قبّة صغيرة مختصرة البناء.

وأمامه قبر السلالة الطاهرة إبراهيم ابن النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وعليه قبّة بيضاء، وعلى اليمين منها

جانب من «جنّة البقيع» قبل هدمها بأيدي الوهابيّين

قبر عقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن جعفر.

وبإزائهم روضة فيها أزواج النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وبإزائها روضة صغيرة فيها ثلاثة من أولاد النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ويليها روضة [فاطمة بنت أسد]، والحسن بن عليّ، عليه السّلام، وهي قبّة مُرتفعة في الهواء على مقربة من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه، وقبراهما مرتفعان عن الأرض، مُتّسعان مُغَشّيان بألواح مُلصقة أبدع إلصاق، مُرصّعة بصفائح الصّفر [أي النّحاس]، ومكوكبة بمساميره على أبدع صفة، وأجمل منظر. وعلى هذا الشّكل قبر إبراهيم ابن النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

ويلي هذه القبّة.. بيت يُنسَب لفاطمة بنت الرسول، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ويُعرَف ببيت الحزن، يقال: إنّه الذي أوَت إليه والتزمت فيه الحزن على موت أبيها المصطفى صلّى الله عليه [وآله] وسلّم...».

وصْفُ محمّد بن أحمد المطريّ (ت: ٧٤١ للهجرة)

قال المطريّ في كتابه (التعريف بما آنستُ الهجرة): «... ومع الحسن، عليه السلام، ابنُ أخيه عليّ بن الحسين زين العابدين، وابنه الباقر، وابنه جعفر بن محمّد الصادق، عليهم السلام، وعليهم قبّة عالية البناء...

ثمّ قبر عقيل بن أبي طالب، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعليهم قبّة.. ثمّ قبر إبراهيم ابن سيّدنا رسول الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وعليه قبّة فيها شبّاك من جهة القِبلة، وهو مدفون عند جنب عثمان بن مظعون، كما ورد في الصحيح أنّ رسول الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، حين مات إبراهيم، عليه السلام، أنّهم قالوا: أين نحفر له؟ قال: **عِنْدَ فَرَطِنا عُثْمانَ.**

> **الصحابيّ الجليل عثمان بن مظعون، هو أوّل مَن دُفن في البقيع من المسلمين المُهاجرين، وقد شارك رسول الله ﷺ بنفسه في دفنه**

وفي قبّة عقيل حظيرٌ مَبنيّ بالحجارة، يقال فيه قبور أزواج رسول الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فيسلّم عليهنّ هناك...

ثمّ قبر إسماعيل بن جعفر الصادق في مشهد كبير مُبَيّض غربيّ قبّة [فاطمة بنت أسد] هو ركنُ سور المدينة من جهة القبلة والشرقيّ وبابه من داخل المدينة، بناه بعض ملوك مصر العُبيديّين [أي الفاطميّين]، ويقال إنّ هذه العَرَصَة التي فيها هذا المشهد وما حولها من جهة الشمال إلى الباب هي **كانت دار زين العابدين عليّ بن الحسين، عليهم السلام، وبين باب الأوّل وباب المشهد بئر منسوبة إلى زين العابدين، وكذلك بجانب المشهد الغربيّ مسجد صغير مهجور يقال إنّه أيضاً مسجد زين العابدين...».**

وصْفُ عبد الله بن أبي بكر العيّاشي المالكيّ (ت: ١٠٩٠ للهجرة)

وقال العياشيّ في (رحلته): «.. هناك مسجدٌ صغير قيل إنّ فيه موقف النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، حين خرج ليستغفر لأهل البقيع، وقيل هو زاوية دار عقيل بن أبي طالب التي دُفن فيها. وفيها كثيرٌ من أهل البيت عليهم السّلام.

روى خالد بن عرفجة قال: كنت أدعو ليلةً إلى زاوية دار عقيل، فمرّ جعفر بن محمّد، فقال: **أَعَنْ أَثَرٍ وَقَفْتَ هُنا؟** قلتُ: لا. قال: **هَذا مَوْقفُ نَبِيِّ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِاللَّيْلِ، إِذا خَرَجَ يَسْتَغْفِرُ لِأَهْلِ البَقيعِ.**

قال المراغيّ: وقد أخبرني غير واحد أنّ الدعاء هناك مستجاب.

فإذا مررتَ كذاك تحت سور المدينة يميناً إلى أن توازي قريباً من زاوية سور المدينة الذي فيه مشهد السيّد إسماعيل، فهناك على يسارك القبّة الكبيرة الماثلة في الهواء، وفيها مشهد [فاطمة بنت أسد] ومشهد الحسن بن عليّ، ومشهد زين العابدين، ومحمّد

الباقر، وجعفر الصادق، وكثير من أهل البيت عليهم السّلام. وبين هذا المشهد وزاوية دار عقيل مشاهدُ مُتعدِّدة إلى جهة المشرق:

...منها: مشهد يقال إنّ فيه بنات [ربائب] النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، ما عدا فاطمة عليها السّلام، وهو قرب مشهد عقيل. ولا شكّ أنّ مَن مات من أهل بيت النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، في حياته كان يدفنه قرب عثمان بن مظعون؛ لما ورد في الأحاديث الصحيحة أنّ النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لمّا مات عثمان بن مظعون وضع عند رأسه حَجَراً، وقال: (**أُعَلِّمُ بِهِ قَبْرَ أَخي، وَأَدْفُنُ إِلَيْهِ مَنْ ماتَ مِنْ أَهْلي**)، وهذا المشهد قريبٌ من ذلك...

ومنها: مشهد يُنسب لحليمة السعديّة مرضعة النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، عليه قبّة لطيفة...

ومنها: مشهد على يسارك وأنت مارّ في زقاق البقيع يقال إنّه لأبي سعيد الخدريّ».

وصْفُ محمّد يحيى الولاتيّ المالكيّ (ت: ١٣٣٠ للهجرة)

قال الولاتيّ – المُتوفّى قبل أربعة عشر عاماً من جريمة الوهّابيّين في هدم البقيع – في (رحلته الحجازيّة): «مشينا ذات اليمين **فدخلنا قبّة آل النبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فسلّمنا عليهم، وزرنا فيها سبطَه الحسن، وزينَ العابدين بن الحسين، وابنَه محمّداً الباقر، وابنه جعفراً الصادق عليهم السّلام، وتوسّلنا إلى النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، بجاههم وبه إلى الله تعالى، ودعونا..**

ثمّ خرجنا منها فزرنا قبّة بنات [ربائب] النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؛ رُقَيّة وزينب وأمّ كلثوم، ووقفنا على باب القبّة، وسلّمنا عليهنّ، رضوان الله تعالى عليهنّ، وتوسلنا بهنّ إلى أبيهنّ نبيّ الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وبه إلى الله، عزّ وجلّ، في قضاء مآربنا كلّها، ودعونا..

ثمّ زرنا قبّة أزواج النّبيّ، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، وقفنا ببابها وسلّمنا عليهنّ كلّهن.. وتوسّلنا بهنّ.

ثمّ دخلنا قبّة سيّدنا إبراهيم ابن نبيّنا، عليه الصّلاة والسّلام، فسلّمنا عليه وعلى الصحابة الذين معه في القبّة: عثمان بن مظعون، وعبد الله بن مسعود، وخُنَيْس بن حُذافَة، وأسعد بن زُرارَة وتوسّلنا بالجميع.. كما تقدّم.

ثمّ مشينا إلى قبّة حليمة مُرضعة رسول الله، صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فوقفنا بباب القبّة وسلّمنا عليها وتوسّلنا بها.. ثمّ زرنا قبّة أبي سعيد الخدريّ..».

رسول الله ﷺ يزور البقيع

قال الشيخ المفيد في (الإرشاد) أنّ رسول الله، صلّى الله عليه وآله، لمّا أحسّ بالمرض الذي عراه، أخذ بيَد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتبعَه جماعة من الناس، وتوجّه إلى البقيع، فقال لمَن تبعه: «**إِنَّني قَدْ أُمِرْتُ بِالاسْتِغْفارِ لِأَهْلِ البَقيعِ**»، فانطلَقوا معه حتّى وقف بين أظهُرِهِم، وقال: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ القُبورِ، لَيَهْنِئْكُمْ ما أَصْبَحْتُمْ فيهِ مِمّا فيهِ النّاسُ، أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يَتْبَعُ آخِرُها أَوَّلَها**»، ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً.

«وقفتُ على رسمِهم والدموع...»

فاجعة البقيع
هكذا هدم الوهّابيّون القبور الطاهرة

■ إعداد: أسرة التحرير

لم يكتفِ أعداءُ أهل البيت بمحاولتهم إطفاء نور الله بقتل أنوار الله وخلفاء رسوله، صلّى الله عليه وآله، أو بمعاقبة مَن يتحدّث عنه بحديث أو بقتل مَن يتحدّث بفضيلة من فضائل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أو بتحريفهم لسنّة رسول الله، صلّى الله عليه وآله، أو بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام عدّة مرات، فبعد أن رأوا هذا النور يزداد توهُّجاً، بالرغم ممّا بذلوا من جهد للقضاء عليه، اتّخذوا طريقة أخرى للقضاء عليه، تمثّلت بِهَدْمِهم قبورَ بُناة الإسلام وأئمّة الهداية الموجودة في البقيع، وانتهاك حرمتها وقدسيّتها في فترتَين زمنيّتَين.

في ما يلي تحقيق شامل عن فاجعة هدم القبور الشريفة في البقيع، مقتبس من مصادر عدّة.

في العام ١١٥٨ للهجرة (١٧٤٥ م) اتّفق كلّ من الأمير محمّد بن سعود (أمير الدرعيّة) والشيخ محمّد بن عبدالوهّاب على العمل معاً على نشر الدعوة الوهّابيّة، على أن تكون للأوّل السلطة السياسيّة وللثاني الدينيّة...

خلف محمّدَ بن سعود في الحكم ابنُه عبدُ العزيز الّذي توسّع في الحكم فاحتلّ عدداً من المناطق المجاورة... كما قام بغزو جنوب العراق حيث هجم على مناطق عديدة منه، ودخل جيشه مدينة كربلاء المُقدّسة في ٢٠ نيسان ١٨٠١م (١٢١٦ للهجرة) بقيادة ابنه سعود، وعاث فيها فساداً، وهدم جانباً من مشهد سيِّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام ونهب محتوياته...

بداية الهَدم في مكّة المكرّمة

وكان سعود بن عبد العزيز قد قام سنة ١٢٠٩ للهجرة (١٧٩٤م) بتجهيز جيش كبير، وهجم على المناطق الحجازيّة المتاخمة لنَجد، واستطاع تحقيق مقدار من النجاح بعد انضمام مجموعة من القبائل إليه لتتخلّص من البطش الذي تميّزت به الهجمات السعوديّة...

وقد قام بهجومه على مكّة في ١٢١٨ للهجرة (١٨٠٢م)، ودخلها ثمّ قام بتهديم قببها وآثارها الدينيّة.. وعن ذلك يقول الشيخ زيني دحلان في (خلاصة الكلام): «فما أصبح الصباح إلّا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب، فبادر الوهّابيّون ومعهم كثير من النّاس لهدم المساجد ومآثر الصالحين؛ فهدموا أوّلاً ما في المعلّى من القبب... ثمّ هدموا قبّة مولد النبيّ صلّى الله عليه وآله... ومولد سيّدنا عليّ رضي الله عنه، وقبّة السيّدة خديجة رضي الله عنها، وتتبّعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين، وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنّون، وبالغوا في شتم القبور التي هدموها».

ويقول المؤرِّخ الوهّابيّ ابن بشر عن هذه الواقعة: «ولبث المسلمون

[أي الوهّابيّون] في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون. يباكرون إلى هدمها كلّ يوم. وللواحد الأحد يتقرّبون!! حتّى لم يبقَ في مكّة شيئاً من تلك المشاهد والقباب إلاّ أعدموها وجعلوها تراباً».

قصّة الهدم الأول في البقيع (المدينة المنوّرة)

لم تذكر المصادر التاريخيّة عن الهدم الأوّل للبقيع إلّا نزراً يسيراً نذكر جانباً منه هنا؛ ففي سنة ١٢٢٠ للهجرة (١٨٠٥م) دخل السعوديّون المدينة المنوّرة بعد مزاعم عن مبايعة البعض لهم، ويذكر ابن بشر في (عنوان المجد في تاريخ نجد) تفاصيل القضيّة، فيقول: «فلمّا قَرُب [سعود بن عبد العزيز] إلى المدينة أرسل إلى أهلها بدخوله، فأبوا وامتنعوا من ذلك، فحمل عليهم كراراً حتّى دخلها بعد وصوله بخمسة وعشرين يوماً، فقتل منها بعض النّاس حيث سمّى أهلها الناكثين، لذلك استباح دمهم حتّى بعد الحرب، فدخل مسجد رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وزاره، ولبث فيها عشرة أيام لم يحرّك منها ساكناً..».

ويضيف:

«ويوم الحادي عشر، جاء هو وبعض أولاده ومن يعزّ عليه، فطلب الخدم السودان الّذين يخدمون حرم النّبيّ، فقال: أريد منكم الدّلالة على خزائن النّبيّ، فقالوا بأجمعهم.. نحن لا نولّيك عليها، ولا نسلّطك، فأمر بضربهم وحبسهم، حتّى اضطرّوا إلى الإجابة، فدلّوه على بعض من ذلك فأخذ كلّ ما فيها، وكان فيها من النقود ما لا يُحصى، وفيها تاج كسرى أنوشروان، الذي حصل عليه المسلمون لمّا فُتحت المدائن... وفيها تحف ثمينة من جملة ما أرسله سلاطين الهند بحضرته، صلّى الله عليه وآله، تزييناً لقبّته صلّى الله عليه وآله. وأخذ قناديل الذهب، وجواهر عديدة، ثمّ إنّه رتّب في المدينة رجلاً من آل سعود، وخرج إلى البقيع يريد نجداً، فأمر بتهديم كلّ قبّة كانت في البقيع، وتلك القبب: قبّة الزهراء فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها [بيت الأحزان]، وقبّة الحسن بن عليّ رضي الله عنه، وقبّة عليّ بن الحسين رضي الله عنه، وقبة محمّد الباقر، وقبّة جعفر الصادق..».

هذا، وقد حاول الوهّابيّون السعوديّون هدم القبّة النبويّة الشريفة! قال عليّ بن موسى الأفنديّ، رئيس القلم العربيّ في ديوان محافظ المدينة في زمن العثمانيّين في كتاب له باسم (وصف المدينة المنوّرة في سنة ١٣٠٣ للهجرة / سنة ١٨٨٥م): «..فلمّا أخذ الوهّابيّ الشرقيّ النجديّ المدينة المنوّرة، ونهب جميع تعاليق الحجرة [النبويّة] من ذهب وفضّة وياقوت وجواهر وزمرّد وغير ذلك من التبرّكات المثمّنة التي لا نظير لها في الدنيا، أمر بهدم قباب البقيع، فهُدمت، وأمر بهدم القبّة الخضراء ليأخذ العَلم الذهب الذي عليها، فكلّ من طلع لتنزيل العلم طاح فمات...».

جريدة الكون (كانون الأول ١٩٢٥)

إخراج آل سعود من المدينة المنوّرة

لقد حزّ في نفوس المسلمين في العالم الأفاعيل الشائنة التي قام بها السعوديّون في المدينة المنوّرة ، وتهديم الآثار الإسلاميّة وإهانة الأولياء والصالحين فيها.. ولذلك فقد عمّ الغضب الإسلاميّ سائر البلاد الإسلاميّة، وارتفعت وتيرة المطالبات الشعبيّة بتحرير الأماكن المُقدّسة من القيود السعوديّة،

وإعادة الهيبة والاحترام إليها كما كانت فيه على الدوام. وقد شجّعت هذه الأجواء (بالإضافة إلى الرغبات العثمانيّة في الهيمنة على الحجاز) الدولة العثمانيّة على التفكير في استردادها، ولذلك فقد طلبت من واليها على مصر محمّد عليّ باشا البدء في الاستعداد لاستعادة السيطرة على الحجاز في عام ١٢٢٢للهجرة /١٨٠٧م.

وعندما استعادت الدولة العثمانيّة المدينة المنوّرة، أعاد المسلمون إليها عمارتها، وقاموا ببناء الآثار الإسلاميّة التي هدمها الوهّابيّون على صورةٍ من الفنّ تتّفق مع ذوق العصر، مستعينين بالتَّبرّعات السَّخيّة والأضرحة الجاهزة التي كانت تأتي من كافّة العالم الإسلاميّ.

الهدم الثاني للبقيع

في مطلع عشرينيّات القرن الماضي - بعد حوالي مائة وعشرين سنة من الاحتلال الوهّابيّ الأوّل للمدينة المنوّرة - لم يتمكّن الشريف حسين حاكم الحجاز من القبول بالمطالب البريطانيّة بإنشاء وطنٍ قوميّ لليهود في فلسطين، فتوتّرت العلاقات بين الأشراف والإنكليز، وأُجبر الشريف حسين على التخلّي عن الحكم. حينها سمحت بريطانيا لآل سعود بغزو الحجاز، فأخذت الحواضر الحجازيّة تسقط الواحدة تلو الأخرى نتيجة المجازر التي ارتكبها الوهّابيّون فيها لإخضاع أهلها.

وهكذا سقطت المدينة المنوّرة في يد الجيش السعوديّ في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٤ للهجرة (١٩٢٥م) بعد حصارٍ طويلٍ عانى منه الأهالي كثيراً، ويصف الرحّالة المستر رتز حالة الأهالي بقوله: «كانت النتيجة التي أدّى إليها الحصار الكريه هذا أن قلَّ عددُ السكّان فيها إلى ستّة آلاف نسمة فقط، مع أنّ هؤلاء السكّان كان عددهم قد وصل إلى سبعين أو ثمانين ألف نسمة من قبل» .. ثمّ يأخذ الرحّالة رتز بوصف الشوارع والأزقّة الفارغة والبيوت المُتهدّمة.

هذا، وقد مكث الجيش السعوديّ عدّة أشهر (تقلّ عن الخمسة بقليل) في المدينة، لم يمسّ فيها مقبرة البقيع بسوء.. فبعد أن دخل الوهّابيّون المدينة المنوّرة في جمادى الأولى ١٣٤٤ للهجرة، لم تنلها أيدي الغيّ السعوديّ إلّا في الثامن من شوّال من ذلك العام، وقبلها قام بالتمهيد لذلك عبر أحد فقهاء السلاطين وهو قاضي القضاة الشيخ عبدالله بن بليهد، حيث أرسله من الرياض إلى المدينة المنوّرة في شهر رمضان، وبعد دخوله المدينة وجّه إلى علمائها المغلوبين على أمرهم سؤالاً حول جواز البناء على القبور، والتبرّك بقبر رسول الله، صلّى الله عليه وآله،، وسائر ما يعدّه الوهّابيّة من الشرك، وكانت النتيجة أنّه استصدر منهم بالترهيب والتهديد الفتاوى التي تخدم مصالح أسياده من آل سعود.

وهكذا، وفي يومٍ أسود كالح من أيّام عام ١٣٤٤ للهجرة، كَشّر الوهّابيون عن أنيابهم وسنّوا حِرابهم وفرضوا على جميع بنّائي المدينة المشاركة في الهدم، وتوجّهوا إلى جنّة البقيع ورفعوا سواعد طالما تغذّت على المال الحرام، وهوَوا بها على أطيب بقعة ضمّت الأجساد المُطهّرة لأربعة من الأئمّة من آل البيت الأبرار عليهم السّلام، ولا زالوا بها حتّى سوّوها مع الأرض، لا يشير إليها إلّا مجموعة الحصى التي عليها.. وتنقل لنا رسالة لرجلٍ مُوالٍ ومن محبّي أهل البيت

صورة حديثة للبقيع وتبدو قبة الحرم النبويّ الشريف

وكان من الحزن مجلس البكاء

عليهم السّلام كان في المدينة المنوّرة عند هدم قبور البقيع، أرسلها إلى أحد علماء الشيعة في العراق مؤرّخة في ٨ شوّال ١٣٤٤، تنقل لنا هذه الرسالة صورة لما حصل للمقدّسات الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، وممّا جاء في الرسالة:

«..جميع البلاد الحجازيّة مقهورة تحت سيطرة ابن سعود وحكمه المطلق فيها. ومنذ أيّام ورد المدينة قاضي قضاة الوهّابيّين [يقصد الشيخ عبدالله بن بليهد] وبينما كان مجلسه غاصّاً بعلمائها صرّح أمامهم بتحريم زيارة القبور، وأنّها بدعة في الدين، وشرك بالله، وأنّه يلزم تحصيل الاتّفاق من جميع علماء المذاهب الأربعة على تخريبها تماماً ومحو آخر أثر من آثارها على وجه الأرض. ونظراً لذلك فقد مُنعت زيارة جميع المراقد المطهّرة، وأُغلقت أبوابها، ومنذ عشرين يوماً لم نجرؤ على قصد هذه المشاهد المشرّفة وزيارتها، إذ إنّ جنود الوهّابيّين (الأخوان) قد رصدوا الحرم المطهّر النبويّ ومنعوا أيّ زائر من التقرّب إلى ضريح رسول الله، صلّى الله عليه وآله.

ثمّ إنّ قاضي قضاة الوهّابيّين لم يتمكّن من تحصيل الاتّفاق المطلوب من علماء المدينة، إلّا بعد أيّام، إذ استعمل معهم الوسائل الأخرى المخوّفة من القوّة، والبعض الآخر وافق ابتداء، فحكموا جميعاً طبق رغبته بتحريم زيارة القبور مطلقاً والتمسّح بها إلى الله، والاستشفاع بها إليه وتلاوة الزيارة فيها. ثمّ صدر الأمر بهدم المراقد الشريفة وتخريبها، فشرع الجند أولاً بنهب جميع ما تحتويه تلك البنايات المُقدّسة

عقب احتلال المدينة المنوّرة، اقتحم ابن سعود الحرم النبويّ الشريف، فنهب جميع النفائس والهدايا في خزائنه... ثمّ أمر بهدم القبّة الخضراء! لكنّ معجزة ربّانيّة حالت دون ذلك.

في البقيع من الفرش والستائر والمعلّقات والسرج وغير ذلك، ثمّ بدأوا يخرّبون تلك المشاهد المقدّسة، وفرضوا على جميع بنّائي المدينة الاشتراك في التخريب والتهديم».

الجريمة كما وصفها الغربيّون

يصف الرحّالة الغربيّ (إيلدون رتر Eldon Ritter)، المدينة المنوّرة بعد الجريمة الثانية التي نفّذها الوهّابيّون عند استيلائهم على المدينة وقتلهم الآلاف من الأبرياء، يقول: «لقد هُدّمت واختفت عن الأنظار القباب البيضاء التي كانت تدلّ على قبور آل البيت النبويّ.. وأصاب القبور الأخرى نفس المصير فسُحقت وهُشِّمت».

ويقول الرحّالة السويسريّ لويس بورخارت Louise Burkhart، الذي اعتنق الإسلام وسمّى نفسه إبراهيم: «تبدو مقبرة البقيع مهملة جدّاً، لا تليق بقدسيّة الشخصيّات المدفونة فيها. وقد تكون أتعس من أيّة مقبرة موجودة في المدن الشرقيّة الأخرى التي تضاهي المدينة المنوّرة في حجمها، فهي تخلو من أيّ قبرٍ مشيّد تشييداً مناسباً، وتنتشر القبور فيها وهي أكوام غير منتظمة من التراب. يحدّ كلّ منها عدد من الأحجار الموضوعة فوقها..»، ويعزي تخريب المقبرة الى الوهّابيّين. ثمّ يصف هذا الرحّالة قبور أئمّة أهل البيت عليهم السّلام بالقول: «فالموقع بأجمعه عبارة عن أكوام من التراب المبعثر، وحُفر عريضة..».

أمّا جبل أُحُد، فيقول عنه هذا الرحّالة بأنّه وجد المسجد الذي شُيِّد حول قبر حمزة، رضوان الله تعالى عليه، وغيره من شهداء أُحُد مثل مصعب بن عُمير... قد هدمه الوهّابيّون.. وعلى مسافة وجد قبور اثنَي عشر صحابيّاً من شهداء أُحُد «وقد خرّب الوهّابيّون قبورَهم وعبثوا بها».

الحركة الوهّابيّة
استراتيجيّة الغرب في محو آثار النبوّة*

■ شمس الدين العجلانيّ

عندما كنت أتابع الاعتداءات الوحشيّة على دمشق [يقصد اعتداءات التكفيريّين بالقصف وزرع المفخّخات خلال السنوات الأخيرة]، وهذا الكمّ الهائل من التدمير غير الإنسانيّ تساءلت: مَن الفاعل؟ وما غايته؟ وتذكّرت مجموعة صحف قديمة لديّ تعود إلى عام ١٩٢٥م، تتحدّث عن تدمير وحشيّ للآثار الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة التي كانت تعرَف آنذاك ببلاد الحجاز.

لقد زخرت الصحف والمجلّات القديمة بالعديد من الأخبار والتحقيقات والصور التي تفتقدها مكتبتنا العربيّة، ولم يولِ أولو الأمر منّا الاهتمام بهذه الصحف والمجلّات، رغم أنّها وثيقة مهمّة تؤرّخ للحدث ساعة وقوعه بالكلمة والصورة، لكونها السجّل اليوميّ لحياتنا على الصعد كافّة: السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة.. ومن ثمّ تُعتبر وثيقة مهمّة تحمل تفاصيل الحدث بالكلمة والصورة. لا بدّ لنا من العودة إلى هذه الصحف ورفع الغبار عنها، لأنّها قد تقول لنا ما يحصل اليوم في شامنا! ولأنّها تحتوي على كنز سياسيّ وثقافيّ واجتماعيّ نفتقده ونحتاج إليه.

في هذه الصحف والمجلّات القديمة قد نقرأ خبراً أو تحقيقاً يدهشنا، أو يقع نظرنا على صورة تُبهرنا، أو ليس هذا وذاك، بل قد نقرأ ونرى صوراً تدعنا نقف طويلاً في حيرة! وهذا ما حصل معي عندما كنت اقرأ مجموعة من الصحف المصريّة.

«اللّطائف المصوّرة»

بين يدَيّ الآن مجلة «اللطائف المصوّرة» المصريّة لصاحبها إسكندر مكاريّوس، وهي من المجلّات التي انتشرت بين الجمهور السوريّ في العشرينيّات والثلاثينيّات من القرن الماضي بشكلٍ كبير، وهي مجلّة أسبوعيّة كانت تصدر يوم الاثنين من كلّ أسبوع، سياستها كما جاء في تعريفها على صفحتها الأولى، أدبيّة علميّة تاريخيّة تنشر صور الحوادث الجارية ومشاهير رجال العالم. بين يدَيّ العدد الصادر بتاريخ ٧ أيلول عام ١٩٢٥. نقرأ في هذا العدد: «**آل سعود يعتدون على المدينة المنوّرة**».

مجلّة «اللّطائف المصوّرة» في عددها ليوم الاثنين في ٧ أيلول من عام ١٩٢٥م، نشرت تحقيقاً مصوّراً عن اعتداء آلِ سعود (الوهّابيّين) على المدينة المنوّرة، وصور التظاهرات التي خرجت بدمشق احتجاجاً على اعتدائهم على الآثار الإسلاميّة، والغضب الشعبيّ الذي عمّ المدن والقرى في جميع أنحاء العالم الإسلاميّ على أفعال آل سعود الوحشيّة بحقّ الآثار الدينيّة. فتحتَ عنوان: «**منظر عام للمدينة المُقدّسة التي يهاجمها الوهّابيّون، وقد ضربوا آثارها المقدّسة التاريخيّة فأثار عملهم سخط العالم الإسلاميّ**» نشرت تحقيقاً مصوراً يضمّ صورة كبيرة للمدينة المنوّرة، وصورة للملك فؤاد الأوّل ملك مصر مع تعليق جاء فيه: «**صاحب الجلالة مولانا الملك فؤاد الأوّل الذي برهن على ما عهده المسلمون في جلالته من الغيرة على الآثار الإسلاميّة المقدّسة، فقد أرسل تلغرافاً إلى السلطان ابن آل سعود طلب فيه باسم مسلمي مصر بألّا تطلق قنابل المدافع على قبر النبيّ في المدينة المنوّرة، وأن تُذَاع الحقيقة عن الهجوم على المدينة تسكيناً لخواطر العالم الإسلاميّ**».

* نقلاً عن جريدة الوطن السوريّة (بتصرّف يسير وتعديل في العنوان)

وأشارت المجلّة إلى البيان الذي أصدره مندوب «الحزب الوطنيّ الحجازيّ» ونشرته الصحف المصريّة حول الاعتداءات على الآثار الإسلاميّة من آل سعود. وفي عددها الصادر يوم الإثنين ٥ تشرين الأوّل عام ١٩٢٥ نشرت مجلة «اللطائف المُصوّرة» صورة كبيرة لأهالي دمشق وهم خارجون في تظاهرات الاحتجاج على الاعتداء الوحشيّ على الآثار الإسلاميّة وتعليقاً يقول: (خرج المسلمون من الجامع الأمويّ في دمشق في ١١ أيلول الماضي في تظاهرة احتجاجاً على ضرب الوهّابيّين لآثار المدينة، فاصطدم البوليس بالمتظاهرين وفرّقهم خوفاً من حدوث ما لا تُحمَد عقباه).

أرسل الملك المصري تلغرافاً إلى عبد العزيز بن سعود طلب فيه باسم مسلمي مصر بألّا تُطلق قنابل المدافع على قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة

آل سعود يدمّرون أضرحة الصحابة

منذ سنوات عديدة دأبت مجلة (الكفاح العربيّ) على إعادة تسليط الضوء على وقائع وحوادث وقعت وحدثت في الزمن الغابر، من خلال صفحة أو صفحتين تحت اسم (مجلّة الكون). وعن وحشيّة آل سعود بحقّ الأماكن المُقدّسة نشرت (الكون) في عددها رقم ٥٢٦ مؤرّخاً في يوم ٣ كانون الأول عام ١٩٢٥، تحقيقاً مصوَّراً حول ذلك تحت عنوان: «**آل سعود يدمّرون أضرحة الصحابة**»، جاء فيه:

«أدّت جريمة تدمير أضرحة الصحابة وأهل البيت إلى موجة استنكار واسعة في أنحاء العالم الإسلاميّ، وقد بدأ وفد إيرانيّ برئاسة السفير جعفر خان جلال جولته الميدانيّة في أنحاء مكّة المكرّمة والحرم النبويّ الشريف في

مقبرة المعلّى في مكة المكرمة قبل أن يهدمها الوهابيون

المدينة المنوّرة، وذلك بعد الأنباء التي ذكرت أنّ زعماء الحركة الوهّابيّة من آل سعود دمّروا قبور الصحابة وأهل البيت. وقد قدّم ابن سعود اعتذاره لرئيس الوفد الإيرانيّ الذي أشار إلى أنّ قبر السيّدة خديجة والسيّدة آمنة وبعض قبور أهل البيت والصحابة دُمّرت تماماً، وحركة الاستنكار الإسلاميّة الحادّة التي بدأت طلائعها والتي يتوقّع أن تتنامى وتستمرّ بأشكال متعدّدة يحرّكها، إضافة إلى الألم على ما جرى وطال مقامات لها في نفوس المسلمين قيمتها الأثريّة والدينيّة، الخشية الواسعة من التطاول على ضريح النبيّ صلّى الله عليه وآله. وكان الاعتداء حدث على يد جنود سعوديّين اتّهمهم الملك بأنّهم متطرّفون!».

بقايا منزل السيدة خديجة عليها السلام قبل أن تأمر السلطات السعودية بطمره

التدمير

لقد قام آل سعود بتدمير معظم تراث النبيّ صلّى الله عليه وآله والصحابة والمسلمين في الأماكن المقدّسة.. ولو خضنا في البحث عمّا دمّروه من آثار إسلاميّة دينيّة تاريخيّة في الجزيرة العربيّة لعجزنا عن إحصائها، ولكن نقول على سبيل المثال:

وإنّ هنالك صبري مطيعي

- هدم آل سعود البيت الذي وُلد فيه النبيّ صلّى الله عليه وآله بمكّة المكرّمة.
- بيت السيّدة خديجة زوجة النبيّ صلّى الله عليه وآله.
- البيت الذي وُلدت فيه السيّدة فاطمة بنت الرسول ﷺ.
- بيت حمزة بن عبد المطّلب.
- بيت الأرقم؛ أوّل بيت كان يجتمع به الرسول مع أصحابه.
- كما هدم آل سعود قبور شهداء مكّة وبعثروا رفاتهم، وكذلك هدموا البيت الذي ولد فيه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام.
- وبقيع الغرقد في المدينة المنوّرة حيث يرقد المهاجرون والأنصار من صحابة رسول الله، صلّى الله عليه وآله.
- هدموا القبّة التي تظلّل الروضة النبويّة المقدّسة، لكنّهم توقّفوا حينما وقف الشعب وبعض العلماء الصالحين من شعبنا ومن البلاد الإسلاميّة كافّة رافضين هذه الإجراءات وخرجوا في التظاهرات، كما سرق آل سعود الذهب الموجود في القبّة.

الخبر الذي ورد في «اللطائف المصورة» غداة مهاجمة المدينة المنورة

وحالما دخل جند الاحتلال السعوديّ مكّة المكرّمة، اتّجهوا لتدمير كلّ ما هو ورق... وكلّ ما هو كُتُب، وكلّ ما هو وثائق وصُوَر، وكلّ ما هو تاريخيّ... من ذلك على سبيل المثال ما ارتكبوه «بالمكتبة العربيّة» التاريخيّة العلميّة التي أحرقوها، وهي التي تُعدّ من أثمن المكتبات في العالم قيمة تاريخيّة، إذ لا تقدّر بثمن أبداً، لقد كان بهذه المكتبة ستّون ألف كتاب من الكتب النادرة الوجود، وفيها أربعون ألف مخطوطة نادرة الوجود من مخطوطات «جاهليّة» خطّت كمعاهدات بين طغاة قريش واليهود، تكشف الغدر اليهوديّ وعدم ارتباط اليهود بالدين والوطن من قديم الزمان، وتكشف مؤامرات اليهود على النبيّ ﷺ.

وفي هذه المكتبة وغيرها من مكتبات المدينة التي أحرقها ودمّرها آل سعود بعض المخطوطات التي كُتبت بخطّ النبيّ صلّى الله عليه وآله، وبخطّ الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وعددٍ من الصحابة، كما أحرقوا كلّ الوثائق التي تهتمّ بالأشراف الذين هم من سلالة الرسول الكريم. لقد أراد آل سعود بذلك ألّا يبقى أيّ أثر يذكر تاريخنا، وألّا يبقى للعرب من تاريخهم إلّا الاسم السعوديّ المزيف المهين.

تعمّد السعوديّون تدمير وثائق تكشف مؤامرة اليهود على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأخرى خاصّة بالأشراف العلويّين

وبعد، لا يخفى على الباحث عن الحقيقة أنّ ما يُسمّى الدولة السعوديّة اكتملت بوسائط الغزو الوحشيّ والتوسّع على حساب البلدان المجاورة تحت عين الرضى البريطانيّة تارةً، وتارةً أخرى الأميركيّة. ولكن ما لم يتمّ توثيقه والبحث عنه بتؤدةٍ، هو تطلّعاتهم العدوانيّة على بلاد الشام. فلو بحثنا عبر السنين الطويلة عمّا تعرضت له بلاد الشام من دسائس ومؤامرات، لتَبيّن لنا بوضوح بصمات آل سعود عليها، فنقرأ عن دورهم في إيقاف الثورة الفلسطينيّة الكبرى عام ١٩٣٩م، وموقفهم من اتّفاق التابلاين مع شركة أرامكو الأميركيّة، ودورهم في توقيع اتّفاق مُجحِف للهدنة مع «إسرائيل»، وبصماتهم العريضة في الانقلابات العسكريّة في سورية في فتره نهاية الأربعينيّات والخمسينيّات من القرن الماضي، ومحاولة اغتيال الرئيس عبد الناصر زمن الوحدة. وأخيراً وليس آخراً دورهم الجشع الإرهابيّ الآن على سوريا والمنطقة عموماً.

فتاوى تحريم زيارة القبور
بذور سامّة وجراثيم مهلكة

■ الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء رحمه الله

من الشبهات الساقطة للوهّابيّين ما ابتدعوه من القول بحرمة البناء على القبور وزيارتها، وهو ما اتّخذوه ذريعةً لجريمتهم في هدم قبور البقيع، وما وصلت إليه أيديهم، قديماً وحديثاً، من قبور الأولياء والصالحين، وحيث إنّهم أفتوا في ذلك بما خالفوا فيه إجماع المسلمين، وما عُرف من سيرتهم القطعيّة بذلك في عموم البلاد الإسلاميّة دون استثناء، فقد تصدّى لإبطال تقوّلاتهم هذه - التي ادّعوا فيها استنادها إلى الإجماع تارةً، وإلى الحديث تارةً أخرى، وإلى الإجماع المستند إلى الحديث ثالثةً - جملة واسعة من علماء المسلمين، من السنّة والشيعة.

ومن هؤلاء الأعلام الإمام المصلح الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء، رحمه الله تعالى، في موارد كثيرة، ومنها رسالته القيِّمة (نقض فتاوى الوهّابيّة) التي نورد فصلاً منها في هذه المقالة.

العبادة، على الحقيقة، هي كون العبد في مقام الإذعان بالعبوديّة، مقروناً بالتزام ما يدلّ على أقصى مراتب الخضوع والذلّة؛ كالرّكوع والسجود

إنّ أوّل مَن نثر في أرض الإسلام المقدّسة تلك البذور السامّة والجراثيم المهلكة، هو أحمد بن تيميّة في أُخريات القرن السابع من الهجرة، ولمّا أحسّ أهل ذلك القرن - بفضل كفاءتهم - أنّ جميع تعاليمه ومبادئه شرّ وبلاء على الإسلام والمسلمين يجرّ عليهم الويلات، وأيّ شرّ وبلاء أعظم من تكفير قاطبة المسلمين على اختلاف نزعاتهم! أُخذ وحُبس برهةً ثمّ قُتل.

الوهّابيّة آلة بيد الأعداء

ولكن بقيت تلك البذور دفينةَ تراب، وكمينةَ بلاءٍ وعذاب، حتّى انطوت ثلاثة قرون، بل أكثر، فنبغ، بل نزع محمّد بن عبد الوهّاب فنبش تلك الدفائن، واستخرج هاتيك الكوامن، وسقى تلك الجراثيم المائتة بل المُميتة، والبذور المُهلكة، فسقاها بمياهٍ من تزويق لسانه وزُخرف بيانه، فأثمرت ولكن بقطف النفوس وقطع الرؤوس وهلاك الإسلام والمسلمين، وراجت تلك السلعة الكاسدة، والأوهام الفاسدة، على أمراء نجد واتّخذوها ظهيراً لما اعتادوا عليه من شنّ الغارات، ومداومة الحروب والغزوات من بعضهم على بعض، وقد نهاهم الفرقان المبين والسنّة النبويّة عن تلك العادات الوحشيّة، والأخلاق الجاهليّة، بملء فمه وجوامع كَلِمِه، وقد عقد بينهم الأخوّة الإسلاميّة، والمودّة الإيمانيّة وقال: «**مالُ المُؤْمِنِ عَلى المُؤْمِنِ حَرامٌ كَحُرْمَةِ دَمِهِ وَعِرْضِهِ**»، وقال جلّ مِن قائل: ﴿..وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ..﴾ النساء:٩٤، أراد الله سبحانه أن يجعلهم فيما بينهم إخواناً وعلى العدوّ أعواناً، أراد

وَهَلْ يَعْلَمُ الصَّبْرَ مَنْ مُقْلَتاهُ

أن يكونوا يداً واحدة للاستظهار على الأغيار من أعداء الإسلام، فنقض ابن عبد الوهّاب تلك القاعدة الأساسيّة والدعامة الإسلاميّة، وعكس الآية فصار يكفِّر المسلمين ويضرب بعضهم ببعض، وما انجلت تلك الغبرة إلّا وهم آلة بأيدي الأعداء ينقضون دعائم الدين، ويقتلون بهم المسلمين، ويَصِلون ما أمر الله بقطعه، ويقطعون ما أمر الله بوصله، فإذا طولبوا بالدليل والبرهان، وجاء حديث السنّة والقرآن، فالجواب الشافي عند السيف والسّنان، والنَّصَف مع البغي والعدوان، والحقّ مع القوّة والسطوة، والعدلُ والسواءُ في الغلَبَةِ والاستيلاء.

بدعة تحريم زيارة القبور

نعم، ليس للقوم فيما وقفنا عليه من كتب أوائلهم وأواخرهم، وحاضرهم وغابرهم حجّة عليها مسحة من العلم أو روعة من البيان، وطلاء من الحقيقة، سوى قولهم: «إنّ المسلمين في زيارتهم القبورَ، وطوافهم حولها، واستغاثتهم بها وتوسّل الزائر بالملحود في تلك المقابر، قد صاروا كالمشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وأصبحوا يعبدون غير الله ليقرّبهم إلى الله تعالى، كما حكى الله سبحانه في كتابه الكريم، حيث يقول عنهم: ﴿..مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ..﴾ الزمر:٣، فلم يقبل اللهُ منهم تلك المعذرة، ولا أخرجهم ذلك الزعم عن حدود الشرك والضلالة».

هذه هي أمّ شبهاتهم، وأسّ احتجاجاتهم، وأقوى براهينهم ودلالاتهم، وإليها ترجع جميع مؤاخذاتهم على غيرهم من طوائف المسلمين، من مسألة الشفاعة والتوسّل، والتبرّك والزيارة، وتشييد القبور، إلى كثير من أمثال ذلك ممّا يزعمون أنّه عبادة لغير الله، وهو على حدّ الشرك بالله، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وأنا أقول: لَعمر الله والحقّ ما أكبر جهلهم! وأضلّ في تلك المزاعم عقلهم! وليت شعري من أين صحّ ذلك القياس والتشبيه؟! تشبيه المسلمين بالمشركين وقياسهم بهم مع وضوح الفرق في البَين، فإنّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام لتُقرّبهم إلى الله زلفى كما هو صريح الآية، والمسلمون لا يعبدون القبور ولا أربابهَا، بل يعبدون الله وحدَه لا شريك له عند تلك القبور.

والقياس الصحيح والتشبيه الوجيه، قياسُ زائري القبور والطائفين حولها بالطائفين حول الكعبة البيت الحرام وبين الصفا والمروة: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ..﴾ البقرة:١٥٨، فالطائف حول البيت، والساعي بين الصفا والمروة لم يعبد الكعبة وأحجارها، ولا الصفا والمروة ومنارها، وإنّما يعبد الله سبحانه في تلك البقاع المقدّسة، وحول تلك الهياكل الشريفة التي شرّفها الله ودعا إلى عبادته فيها، وهكذا زائر القبور.

لا شيءَ من العناوين الممنوعة عند الوهّابيّة، من الشفاعة، والوسيلة، والتبرّك، والاستغاثة، والزيارة وأمثالها، له مَسيسٌ بالعبادة بوجه من الوجوه

هذا هو القياس الصحيح والميزان العدل، أمّا القياس بالميزان الأوّل ففيه عينٌ بل عيون، لا بل هو خَبطٌ وجنون. أليس من الجنون قياس مَن يعبد الله موحّداً له، بمَن يعبد الأصنام مشركاً لها مع الله جلّ شأنه؟!

زائر القبور لا يعبدها

وكَشْفُ النقاب عن محيّا هذه الحقيقة الستيرة، بحيث تبدو للناظرين ناصعة مستنيرة، موقوفٌ على بيان حقيقة العبادة وكُنه معناها، ولو على سبيل الإيجاز حسب اقتضاء هذه العجالة التي جرى بها اللسان متدافعا تدافع الآتي من غير وقفة ولا أناةٍ، ولا مراجعةٍ ولا مهل.

تأمّلات في مهبط الوحي عائد الروح

من قصيدة للسيد الرضي رحمه الله

إنّ حقيقة العبادة ومُصَاصُ معناها، وكُنه روحها ومغزاها، بعد كونها مأخوذة بحسب الاشتقاق من «العبد» و«العبوديّة»، وليس العبد - في الحقيقة وطباق نفس الأمر والواقع - ما ملكتَه بالاغتنام أو الشراء أو غيرهما من الأسباب، ولا السيّد والمولى مَن تولّى عليك بالغلَبة والقهر، أو المصانعة والخداع، إنّما السيّد مَن أنعم عليك بنعمة الحياة، وخلع عليك بعد العدم خلعة الوجود، وربّاك في بواطن الأصلاب وبطون الأرحام ستيراً، لا تراك سوى عينُه، ولا ترعاك سوى عنايتُه، فذاك هو الربّ والمالك والسيّد حقيقةً من غير تسامح في المعنى، ولا تَجوُّزٍ في اللفظ، وأنت ذلك العبد المملوك بحقيقة العبوديّة، المربوب بنعمة الإيجاد والتكوين، والصنع والخلق، وقد اقتضت تلك العبوديّة، حسب النواميس العقليّة، والاعتبار والرويّة، المُعزَى إليها بقوله عزّ شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦.

فالعبادة معناها كلفظها مشتقّة من العبوديّة، وهي شأنٌ من شؤونها وأثرٌ من آثارها، فإنّ العبوديّة قضت على العبد - حفظاً لاستدامة تلك النعمة، بل النِّعَم الجمّة وامتدادها أبديّاً - أن يقف العبدُ موقفَ الإذعان والاعتراف بها لوليّها ومولاها، فكما أنّه في موطن الحقّ والواقع عدمٌ صرف وعجزٌ محض، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياة، كذلك يكون في موطن الخارج والظاهر ماثلاً بين يدَي مولاه في غاية الخضوع والذلّة، والعجز والحاجة...

إذاً، فالعبادة على الحقيقة هي كون العبد في مقام الاعتراف والإذعان بالعبوديّة مقروناً بما يليق بها من استعمال ما يدلّ على أقصى مراتب الخضوع والذلّة؛ بالسجود والركوع، والهرولة والطواف، وغير ذلك ممّا وصفته الشرائع، وأوعزت إليه الأديان من معلوم الحكمة ومجهولها، ومبهم الحقيقة أو معقولها.

تلك هي العبادة الحقيقيّة، غايته أنّ عامّة النّاس قصرت أفكارهم عن اجتناء ذلك اللبّ واقتصروا على القشور من العبادة، اللّهمّ إلّا أن يكون ذلك مرتكزاً في أعماق نفوسهم على الإجمال في المقصود، دون التفصيل والاستحضار والشهود، وكيف كان الحال، فهل تحسّ أنّ أحداً من زوّار القبور والمتوسّلين بأربابها يقصد أنّ القبر الذي يطوف حوله، أو صاحبه الملحود فيه هو صانعُه وخالقه، وأنّه بزيارته يريد أن يتظاهر بالعبوديّة له فتكون عبادةً له؟! أو أنّ أحداً من الزائرين يقول للقبر - أو لمَن فيه: يا خالقي ويا رازقي ويا معبودي؟!

كلّا ثمّ كلّا ما أحسب أنّ أحداً يخطر على باله شيء من تلك المعاني مهما كان من الجهل والهمجيّة، كيف وهو يعتقد أنّ صاحب القبر بشرٌ مثله عاش ومات وأصبح رميماً رفاتاً. نعم، يعتقد أنّ روحه باقية عند الله - جلّ شأنه - فهو بها يسمع ويرى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران:١٦٩، ونظراً إلى تلك الحياة يخاطبه ويسلّم عليه ويتوسّل به إلى الله، سبحانه، ويطلب الشفاعة منه.

وبعد هذا كلّه فهل تجد من الحقّ والإنصاف تشبيه الزائرين بعبَدة الأصنام، وهذه منابرهم ومنائرهم ومشاعرهم تضجّ في الأوقات الخمس بل في أكثر الأوقات بشهادة أنْ لا إله إلّا الله، ويلهجون بأنّه لا معبود إلّا الله؟! فهل ذلك القول إلّا قولُ مجادلٍ بالباطل يريد أن يدحض به الحقّ، ويلقحَ شرر الفساد في الأرض، ويريقَ دماء المسلمين ظلماً وعدواناً؟! وممّا ذكرنا من معنى العبادة وحقيقة معناها يتّضح أنّه لا شيء من تلك العناوين الممنوعة عند الوهّابيّة، من الشفاعة والوسيلة، والتبرّك والاستغاثة والزيارة وأمثالها، له مسيسٌ بالعبادة بوجه من الوجوه، هذا مضافاً إلى صدوره من النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين الواردة في صحيح الأخبار من صحيحَي البخاريّ ومسلم وغيرها، وقد استوفى جملةً منها جدّنا كاشف الغطاء - رفع الله درجته - في رسالته (منهج الرشاد) وفيها مقنع وكفاية، مَن أرادها فليراجعها.

«اللَّهُمَّ اضْرِبْه بسَهْم عَاجِلٍ تَشْغَلْه به عَنِّي»
الدّعاء لشدّة البلاء، ولهلاك العدوّ

السيّد بحر العلوم دام عزّه

ما يلي، ثلاثةٌ من قصار الأدعية المرويّة عن الإمام الصادق، عليه السلام، أوردها السيّد محمّد مهديّ بحر العلوم في الجزء الأوّل من كتابه (الفوائد الرجاليّة)، ضمن ترجمته لآل حيّان التغلبيّ، ومنهم راويا هذه الأدعية، يونسُ وإسحاق ابْنا عمّار التغلبيّ.

في باب الدّعاء للعلل، وشدّة ابتلاء المؤمن

«في الصّحيح: عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السّلام: جُعِلتُ فداك، إِنَّ هَذَا الَّذِي ظَهَرَ بِوَجْهِي، يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّ اللهَ، عزَّ وجلَّ، لَمْ يَبْتَلِ بِه عَبْداً لَه فِيه حَاجَةٌ، قَالَ، فَقَالَ لِي:

لا، لَقَدْ كَانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ مُكَنَّعَ الأَصَابِعِ [مكنّع الأصابع - بالتشديد - مُشنّجها ومُنقبضها من اليُبس] **فَكَانَ يَقُولُ هَكَذَا، ويَمُدُّ يَدَيْه، ويَقُولُ:** ﴿..يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ يس:٢٠.

ثُمَّ قَالَ لِي: إِذَا كَانَ الثُّلُثُ الأَخيرُ مِنَ اللَّيْلِ، فِي أَوَّلِهِ فَتَوَضَّأْ، وقُمْ إِلَى صَلَاتِكَ الَّتِي تُصَلِّيهَا، فَإِذَا كُنْتَ فِي السَّجْدَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ فَقُلْ وأَنْتَ سَاجِدٌ: (يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، يَا رَحْمَانُ يَا رَحِيمُ، يَا سَامِعَ الدَّعَوَاتِ، ويَا مُعْطِيَ الْخَيْرَاتِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَعْطِنِي مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَاصْرِفْ عَنِّي مِنْ شَرِّ الدُّنْيَا والآخِرَةِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وأَذْهِبْ عَنِّي هَذَا الْوَجَعَ - وتُسَمِّيه - فَإِنَّهُ قَدْ غَاظَنِي وأَحْزَنَنِي)، **وأَلِحَّ فِي الدُّعَاءِ.**

قَالَ: فَمَا وَصَلْتُ إِلَى الْكُوفَةِ حَتَّى أَذْهَبَ اللهُ، جَلَّ وعَزَّ، عَنِّي كُلَّه».

في باب الدّعاء على العدوّ*

«في الصّحيح: عَنْ يُونُسَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ الله عليه السّلام: إِنَّ لِي جَاراً مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ آلِ مُحْرِزٍ قَدْ نَوَّهَ بِاسْمِي وشَهَرَنِي، كُلَّمَا مَرَرْتُ بِه قَالَ: هَذَا الرَّافِضِيُّ يَحْمِلُ الأَمْوَالَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقَالَ لِي:

ادْعُ اللهَ عَلَيْهِ إِذَا كُنْتَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ - وأَنْتَ سَاجِدٌ فِي السَّجْدَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ - فَاحْمَدِ اللهَ، عَزَّ وجَلَّ، ومَجِّدْه، وقُلْ: (اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ قَدْ شَهَرَنِي ونَوَّهَ بِي وغَاظَنِي وعَرَّضَنِي لِلْمَكَارِه، اللَّهُمَّ اضْرِبْهُ بِسَهْمٍ عَاجِلٍ تَشْغَلُهُ بِهِ عَنِّي، اللَّهُمَّ وقَرِّبْ أَجَلَهُ، واقْطَعْ أَثَرَهُ، وعَجِّلْ ذَلِكَ يَا رَبِّ السَّاعَةَ السَّاعَةَ).

قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْكُوفَةَ قَدِمْنَا لَيْلاً، فَسَأَلْتُ أَهْلَنَا عَنْه، قُلْتُ: مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَقَالُوا: هُوَ مَرِيضٌ، فَمَا انْقَضَى آخِرُ كَلَامِي حَتَّى سَمِعْتُ الصِّيَاحَ مِنْ مَنْزِلِه، وقَالُوا: قَدْ مَاتَ.

* وفيه، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى أَبِي عَبْدِ الله، عليه السّلام، جَاراً لِي ومَا أَلْقَى مِنْه، قَالَ: فَقَالَ لِي: **ادْعُ عَلَيْه.**

قَالَ: فَفَعَلْتُ، فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، فَعُدْتُ إِلَيْه فَشَكَوْتُ إِلَيْه، فَقَالَ لِي: **ادْعُ عَلَيْه،** قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ فَعَلْتُ فَلَمْ أَرَ شَيْئاً.

فَقَالَ: **كَيْفَ دَعَوْتَ عَلَيْه؟** فَقُلْتُ: إِذَا لَقِيتُه دَعَوْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: **ادْعُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَلَ واسْتَدْبَرَ،** فَفَعَلْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ حَتَّى أَرَاحَ اللهُ مِنْهُ».

* المراد بالعدوّ مَن ينصب العداء لأهل البيت عليهم السّلام، فقد أجمع المسلمون على أنه ليس مسلماً.

الاستغاثة بالإمام المهدي عليه السلام

القيام عند ذكر «القائم»

إعداد: «شعائر»

تقدّم «شعائر» في هذا الباب أدبَين من آداب المؤمن في العلاقة بآخر أوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله، الإمام المهديّ المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وقد تمّ اختيارهما من كتاب (آداب عصر الغَيبة) للشيخ حسين كوراني، بتصرّفٍ يسير.

لا يوجد أيّ مانع شرعيّ يمنع من التوسّل إلى الله تعالى بنبيّه المصطفى وأهل بيته صلّى الله عليه وعليهم، والاستغاثة بهم، فالغارقُ في بحار الذنوب لا يُمكنه إلا أن يلتجئ إلى مَن أمَر الله تعالى بالرّجوع إليهم، وهذا مبدأ قرآنيّ واضح، قال تعالى: ﴿.. وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء:٦٤.

وقد وردت عدّة روايات في التوسّل إلى الله عزّ وجلّ بوليّه المهديّ وآبائه عليهم السلام، (منها):

١) رسالة إليه عليه السلام

قال المحدّث القمّي رحمه الله في (منتهى الآمال):

«رُوي في (تحفة الزائر) للمجلسي و(مفاتيح النجاة) للسبزواري أنّ مَن كانت له حاجةٌ فليَكتب في رسالة ما سيأتي نَصُّه، ثمّ يُلقيها في ضريح أحد الأئمّة عليهم السلام، أو يعلّقها على الضريح، أو يطوي الرسالة ويغلّفها بطين طاهر ويرمي بها في نهر، أو بئر عميق، أو غدير، فإنّها تصل إلى صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه، ويتولّى هو بنفسه قضاء تلك الحاجة.

النصّ الذي يُكتب:

(بسمِ الله الرّحمن الرّحيم، كَتَبْتُ إلَيْكَ يا مَولايَ صَلَواتُ الله عَلَيكَ مُسْتَغِيثاً، وشَكَوتُ ما نَزلَ بِي مُستَجِيراً باللهِ عَزَّ وجَلّ ثمَّ بِكَ من أمرٍ قَد دَهَمَني، وأشغَلَ قَلبَي وأطالَ فِكْري، وسَلَبَني بَعضَ لُبّي، وَغَيّر خَطِيرَ نِعمَةِ اللهِ عِنْدِي، أسلَمَني عِندَ تَخيُّلِ وُرُودِهِ الخَليلُ وَتَبرَّأَ مِنّي عِنَدَ تَرائي إقْبالِهِ إليَّ الحمِيمُ، وعَجَزَتْ عَن دِفَاعِهِ حِيلَتي وَخَانَني في تَحَمُّلِهِ صَبْرِي وَقوَّتي، فَلَجَأتُ فِيهِ إلَيكَ وَتَوَكَّلْتُ في المسْألَةِ للهِ جَلَّ ثَنَاؤهُ عَلَيهِ وعَلَيكَ في دِفَاعِهِ عَنّي، عِلماً بِمَكَانِكَ مِنَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ وَلِيّ التَّدْبِيرِ وَمَالِكِ الأُمورِ، وَاثِقاً بِكَ في المسارَعَةِ فِي الشّفَاعَةِ إلَيهِ جَلَّ ثناؤهُ في أمْري، مُتَيقِّناً لإجَابَتِهِ تَبارَكَ وَتَعالى إيّاكَ بِإعْطَائي سُؤْلي. وأنتَ يا مَولايَ جَدِيرٌ بِتَحْقِيقِ ظَنّي وَتَصْدِيقِ أمَلِي فِيكَ في أمْرِ كذا (وتذكر هنا حاجتك) **فِيمَا لا طَاقَةَ لِي بِحَمْلِهِ، ولا صَبْرَ لِي عَلَيهِ، وَإن كُنتُ مُستَحِقّاً لَهُ وَلأضعَافِهِ بِقَبيحِ أفعَالِي وَتَفريطي فِي الواجِباتِ الّتي للهِ عَزَّ وجَلَّ (عَلَيَّ)، فأغِثْني يا مَولايَ صَلَواتُ اللهِ عَلَيكَ عِندَ اللَّهفِ وَقَدِّمِ المسْألَةَ للهِ عَزَّ وجَلَّ في أمْرِي قَبلَ حُلولِ التَلَفِ وشماتَةِ الأعداءِ، فَبِكَ بُسِطَتِ النّعْمَةُ عَلَيَّ، وَاسْأَلِ اللهَ جَلَ جَلالُهُ لِي نَصْراً عَزيزاً وفَتْحاً قَريباً فِيهِ بلُوغُ الآمالِ وَخَيرُ المَبادِي وَخَواتِيمُ الأعمَالِ وَالأمنُ مِنَ المخَاوفِ كُلِّها فِي كُلِّ حَالٍ، إنّهُ جَلَّ ثناؤهُ لِما يَشَاءُ فعّالٌ وَهُو حَسبي وَنِعمَ الوكِيلُ في المبدأ وَالمآلِ).**

ثم تقف على الماء الذي تريد إلقاء الرسالة فيه، وتنادي أحد الوكلاء الأربعة باسمه، وهم:

١ – عثمان بن سعيد.

٢ – محمّد بن عثمان.

٣ – الحسين بن روح.

٤ – عليّ بن محمّد السمّري.

وتقول: يا فلان بن فلان – ثمّ تذكر اسمَ أحدهم – سلامٌ عليكَ، أشهدُ أنّ وفاتَك في سبيلِ اللهِ، وأنّك حَيٌّ عندَ اللهِ مرزوقٌ، وقد

خاطبتُك في حياتك التي لكَ عند الله عزّ وجلّ، وهذه رُقعتي وحاجتي إلى مولانا عليه السلام، فسلّمها إليه، وأنت الثقةُ الأمين.

ثمّ تُلقي الرسالة في الماء.

٢) زيارة سلام الله الكامل

قال المحقّق السيّد علي خان رضوان الله عليه في (الكلِم الطيّب): «استغاثة إلى صاحب الزمان. من حيث تكون تصلّي ركعتَين بالحمد وسورة، وقُم مستقبل القبلة تحت السماء وقل: سَلامُ اللهِ الكاملُ التّامُّ الشّامِلُ...». إلى آخر الزيارة.

وهذه الزيارة – الاستغاثة – موجودة في (مفاتيح الجنان) للمحدّث القمّي.

٣) القيام عند ذكر «القائم»

جاء في كتاب (النّجم الثاقب) للمحدّث الميرزا النوري، ما ترجمتُه:

«السادس – من الآداب – القيامُ تعظيماً عند سماع اسمه المبارك خصوصاً الإسم المبارك (القائم) كما هي سيرة أوليائه ومحبّيه في جميع البلاد من العرب والعجم، وهذا وحده كاشفٌ عن وجود أساسٍ شرعيّ لهذا العمل، رغم أنّني لم أعثرْ عليه، ولكن نُقل عن عدّة من العلماء المتتبّعين أنّهم وجدوا ما يدلّ على ذلك، وقد نقَل بعضُهم أنّه سأل العالم الجليل المتبحّر سبط المحدّث الجزائري عن ذلك فقال إنّه وجد حديثاً مفادُه أنّ الإمام الصادق عليه السّلام كان في مجلسٍ فذُكر اسمُ الإمام المهديّ عليه السلام، فقام الإمام الصادق إجلالاً وتعظيماً له، عليهما السلام».

وقال المحدّث القمّي في (منتهى الآمال) بعد نقل هذا الكلام، ما ترجمته:

«كان هذا كلام شيخنا في (النّجم الثاقب)، لكن العالم المحدّث الجليل السيّد حسن الكاظمي قال في (تكملة أمل الآمل) ما حاصله:

إنّ أحد علماء الإمامية، وهو عبد الرضا بن محمّد ... ألّف كتاباً في وفاة الإمام الرضا عليه السلام سمّاه (تأجيج نيران الأحزان في وفاة سلطان خراسان)، وممّا تفرّد به هذا الكتاب ما رواه أنّ دِعبل الخزاعيّ عندما أنشد الإمامَ الرضا قصيدته التائيّة، ووصلَ إلى هذا البيت:

خروجُ إمامٍ لا محالةَ قائمٌ يقومُ على اسمِ اللهِ بالبَركاتِ

نهضَ الإمام الرضا عليه السلام قائماً، وأحنى رأسَه المبارك، ووضعَ يدَه اليمنى على رأسه، وقال: **أللّهمّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَمَخْرَجَهُ، وَانْصُرْنَا بِهِ نَصْراً عَزِيْزاً**».

ذُكر القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف عند الإمام الرضا، فنهض عليه السلام قائماً، وأحنى رأسَه المبارك، ووضعَ يدَه اليُمنى على رأسه، وقال: أللّهمّ عَجِّلْ فَرَجَهُ وَمَخْرَجَهُ، وَانْصُرْنَا بِهِ نَصْراً عَزِيْزاً

النشاط والبَهجة في العبادة

الأُنس بالحقّ يوجب كشف الأسرار

الإمام الخمينيّ قدس سره

في كتاب (الجعفريّات) بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَفْضَلُ النّاسِ مَنْ عَشِقَ العِبادَةَ وَعانَقَها وَأَحَبَّها بِقَلْبِهِ وَباشَرَها بِجَسَدِهِ، وَتَفَرَّغَ لَها..».

وفي هذا الباب يأتي كلام الإمام الخمينيّ قدّس سرّه في كتابه (الآداب المعنويّة للصلاة) عن الأثر الإيجابيّ لإقبال القلب على العبادة، والأثر المقابل لحمله عليها حالَ الكسل والتعب.

من الآداب القلبيّة للصلاة وسائر العبادات وله نتائج حسنة، بل هو موجبٌ لفتح بعض الأبواب وكشف بعض أسرار العبادات، أن يجتهد السالك في أن تكون عبادته عن نشاط وبهجة في قلبه، وفرح وانبساط في خاطره، ويحترز احترازاً شديداً أن يأتي بالعبادة مع الكسل وإدبار النفس، لأنّه إذا حمل النفس على العبادة في أوقات الكسل والتعب، يمكن أن تترتّب عليه الآثار السّيّئة، ومنها:

أن يسأم الإنسان من العبادة ويزيد تكلّفه وتعسّفه، ويوجب ذلك - وبالتدريج - تنفُّر طباع النفوس منها، وهذا مضافاً إلى أنّه من الممكن أن يصرف الإنسان بالكلّيّة عن ذكر الحقّ، ويقصي الروح عن مقام العبوديّة التي هي منشأ جميع السعادات؛ ينتج عنه ألّا يحصل للعبادة بهذه الصفة نورانيّة في القلب، ولا ينفعل باطن النفس بها، ولا تصير صورة العبوديّة صورة باطنيّة للقلب، [وقد تقرّر في محلّه] أنّ المطلوب في العبادات هو صيرورة باطن النفس صورة عبوديّة.

غايةُ العبادات، تقويةُ إرادة النفس

إنّ من أسرار العبادات والرياضات ونتائجهما أن تكون إرادة النفس في مُلك البدن نافذة، وتكون مملكة [البدن] منقهرة ومضمحلّة في كبرياء النفس، وتتملّك الإرادة القوى المنبثّة والجنود المنتشرة في ملك البدن، وتمنعها عن العصيان والتمرّد والأنانيّة والاستقلال، وتكون القوى مُسلِّمة لملكوت القلب وباطنه، بل تصير القوى بالتدريج فانية في الملكوت. ويجري أمر الملكوت في المُلك، وينفذ فيه وتقوى إرادة النفس، وتخلع يد الشيطان والنفس الأمّارة عن أزمّة المملكة، وتُساق جنود النفس من الإيمان إلى التسليم، ومن التسليم إلى الرضا، ومن الرضا إلى الفناء. وفي هذه الحالة تجد النفس رائحة من أسرار العبادة، ويحصل لها شيء من التجلّيات الفعليّة، وما ذكرنا لا يتحقّق إلّا بأن تكون العبادة عن نشاط وبهجة، ويحترز فيها من التكلّف والتعسّف والكسل احترازاً تامّاً كي تحصل للعابد حالة المحبّة والعشق لذكر الحقّ ولمقام العبوديّة، ويحصل له الأنس والتمكُّن.

من أسرار العبادات ونتائجها، أن تكون إرادةُ النفس نافذة ومُهيمنة على جميع القوى في مملكة الجسد

وإنّ الأنس بالحقّ وبذكره من أعظم المُهمّات، ولأهل المعرفة بها عناية شديدة، وفيها [يتنافس] المتنافسون من أصحاب السير والسلوك، وكما أنّ الأطبّاء يعتقدون بأنّ الطعام إذا أُكل بالسرور والبهجة يكون أسرع في الهضم، كذلك يقتضي الطبّ الروحانيّ بأنّ الإنسان إذا تغذّى بالأغذية الروحانيّة بالبهجة والاشتياق محترزاً من الكسل والتكلُّف، يكون ظهور آثارها في القلب وتصفية باطن القلب بها أسرع.

وقد أُشير إلى هذا الأدب [أي اجتناب الكسل حال العبادة] في الكتاب الإلهيّ الكريم... حيث يقول في مقام تكذيب الكفّار والمنافقين: ﴿..وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ التوبة:٥٤. وقد فُسِّرت آية ﴿..لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ..﴾ النساء:٤٣، في حديثٍ بأنّ المراد من سكارى: «كُسالى».

ثاني عَقَبات الآخرة

العَدِيلة عند الموت

المحدّث الشّيخ عباس القمّي*

العديلة عند الموت، تعني العدول من الحقّ إلى الباطل في وقت الموت، وذلك بأن يحضرَ الشيطان عند المحتضَر، ويوسوس له حتّى يوقعَه في الشكّ، فيُخرجَه من الإيمان. ولذا ورد في الأدعية الاستعاذة منها "..".

يقول الفقير: ومن النّافع لحصول حُسن العاقبة والوصول من الشّقاوة إلى السّعادة:

١) قراءة الدعاء الحادي عشر من الصحيفة الكاملة: «**يَا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذّاكِرِيْنَ**...».

٢) وقراءة دعاء التمجيد المنقول في (الكافي) وغيره، وقد نقلتُه في كتاب (الباقيات الصالحات) بعد أدعية السّاعات. [أوّله: أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ..]

٣) وأن يصلّي الصلاةَ الواردة في يوم الأحد من ذي القعدة.

٤) والمداومة على هذا الذّكر الشّريف: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران:٨، والمواظبة على تسبيح الزهراء عليها السّلام.

٥) والتختّم بخاتم عقيق، وبالخصوص إذا كُتب عليه «**مُحَمّدٌ نَبِيُّ اللهِ، وعَلِيٌّ وَلِيُّ اللهِ**».

٦) وقراءة سورة (قد أفلحَ المؤمنون) في كلّ جمعة.

٧) وقراءة سبع مرّات بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب: «**بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوّةَ إِلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ**».

٨) وأن يصلّي في ليلة الثاني والعشرين من رجب ثماني ركعات، يقرأ في كلّ ركعة (الحمد) مرّة، و(قل يا أيّها الكافرون) سبع مرّات، وبعد الفراغ يصلّي على محمّدٍ وآل محمّدٍ عشر مرّات، ويستغفر الله تعالى عشر مرّات.

* وروى السيد ابن طاوس عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، أنّه قال: «**وَمَنْ صَلَّى فِي اللَّيْلَةِ السَّادِسَةِ مِنْ شَعْبَانَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ؛ يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (فَاتِحَةَ الكِتَابِ) مَرّة، وَخَمْسِينَ مَرّةً (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)، قَبَضَ اللهُ رُوحَهُ عَلَى السَّعَادَةِ، وَوَسَّعَ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ، وَيَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهِ وَوَجْهُهُ كَالقَمَرِ وَهُوَ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَنّ مُحَمَّدَاً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

* يقول المؤلّف: إنّ هذه الصلاة هي بِعَينها صلاة أمير المؤمنين عليه السّلام، وإنّ لها فضلاً كثيراً.

***

حُكِيَ أنّ تلميذاً من تلاميذ الفضيل بن عيّاض [ت: ١٨٠ للهجرة] – وهو أحد رجال الطّريقة – وكان يُعَدّ من أعلم تلاميذه، لمّا حضرته الوفاة دخل عليه الفضيل، وجلس عند رأسه، وقرأ سورة (يس).

فقال التلميذ المحتضر: يا أستاذ، لا تقرأ هذه السّورة. فسكتَ الأستاذ، ثمّ لقّنَه فقال له: قُل: (**لا إلهَ إلّا الله**).

فقال: لا أقولها، لأنّي بريءٌ منها! ثمّ ماتَ على ذلك.

فاضطرب الفضيل من مشاهدة هذه الحالة اضطراباً شديداً. فدخل منزلَه ولم يخرج منه. ثمّ رآه في النوم وهو يُسحَب به إلى جهنّم.

فسأله الفضيل: بأيّ شيءٍ نزعَ اللهُ المعرفةَ منك، وكنتَ أعلمَ تلاميذي؟ فقال: بثلاثة أشياء:

أوّلها: النّميمة، فإنّي قلتُ لأصحابي بخلاف ما قلت لك.

والثاني: بالحسَد، حسدتُ أصحابي.

والثالث: كانت بي عِلّة، فجئتُ إلى الطبيب فسألته عنها، فقال: تشرب في كلّ سنة قدحاً من الخمر، فإنْ لم تفعل بقيتَ بك العلّة. فكنتُ أشربُ الخمر تبعاً لقول الطبيب. ولهذه الأشياء الثلاثة التي كانت فيَّ، ساءتْ عاقبتي ومتُّ على تلك الحالة.

---

* من كتابه (منازل الآخرة)

الشهيد الثاني مُتحدّثاً عن رحَلاته الشخصيّة والعلميّة

برزتْ إليَّ الإشاراتُ الربّانيّة بالسفر إلى جهة الروم

إعداد أسرة التحرير

من يقرأ السيرة العلميّة والذاتيّة للعالم الربّانيّ الكبير الشيخ زين الدين بن عليّ الجبعيّ العامليّ المعروف بالشّهيد الثّاني (٩١١-٩٦٥ للهجرة) يأخذه فضول التعرّف أكثر إلى هذه الشخصيّة الفذّة التي أَثْرَتْ علوم الإسلام ومعارف الإماميّة بما قدّمته في حياتها الشّريفة.

تستهلّ «شعائر» في هذا العدد تقديم سيرته الذّاتيّة التي دوّنها، رضوان الله عليه، على شكل رسائل ومذكّرات، على صورة حوار افتراضيّ مع جناب الشّيخ قدّس سرّه.

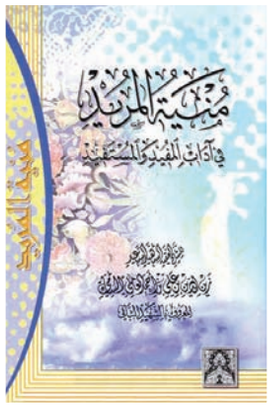

من آبرز مؤلفات الشهيد الثاني

س: هلّا تكرّمتم علينا بلمحة عن سيرتكم العلميّة، التي بدأت على ما نعلم من صِلتكم بكتاب الله العزيز حيث خَتمتموه ولكم من العمر تسع سنين؟

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على أشرف المرسلين، وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

هذه جملة من أحوالي وتصرّف الزمان بي في عمري وتاريخ بعض المُهمّات التي اتّفقت لي.

كان مولدي في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوّال، سنة إحدى عشرة وتسعمائة من الهجرة النبويّة.

ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلُّم؛ لكن كان خَتْمي كتابَ الله العزيز سنة عشرين وتسعمائة من الهجرة النبويّة، وسنّي إذ ذاك تسع سنين، واشتغلتُ بعده بقراءة الفنون العربيّة والفقه على الوالد قدّس الله سرّه، إلى أنْ تُوفّيَ في العشر الأواسط من شهر رجب، يوم الخميس سنةَ خمسٍ وعشرين وتسعمائة.

وكان من جملة ما قرأتُه عليه من كتب: (الفقه النافع)، (مختصر الشرائع)، و(اللُّمعة الدمشقيّة).

ثمّ ارتحلتُ في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم إلى مَيْس [قرية في جنوب لبنان]، وكان ابتداء الانتقال في شهر شوّال من السنة المذكورة، واشتغلتُ على شيخنا الجليل الشيخ عليّ بن عبد العالي، قدّس الله سرّه، من تلك السنة إلى أواخر سنةِ ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وكان من جملة ما قرأتُه عليه (شرائع الإسلام)، و(الإرشاد)، وأكثر (القواعد).

ثمّ ارتحلتُ في شهر ذي الحجّة إلى كركِ نوح عليه السّلام [قرية قرب بعلبكّ]، وقرأتُ بها على المرحوم المقدّس السيّد حسن ابن السيّد جعفر [جملةً] من الفنون، وكان ممّا قرأتُه عليه (قواعد) ميثم البحرانيّ في الكلام، و(التهذيب في أُصول الفقه)، و(العمدة الجليّة في الأُصول الفقهيّة) من مصنّفات السيّد المذكور، و(الكافية) في النحو، وسمعتُ جملةً من الفقه وغيره من الفنون.

ثمّ انتقلتُ إلى جُبَع وطني الأوّل زمنَ الوالد في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين، وأقمتُ بها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة ٩٣٧.

س: كانت رحلتكم إلى دمشق الشام وإقامتكم في ربوعها محطّة مُهمّة على ما تذكرون في أكثر من مناسبة، كيف تُحدّثنا عن هذه المحطّة؟

ارتحلتُ إلى دِمَشق واشتغلتُ بها على الشّيخ الفاضل المحقّق الفيلسوف شمس الدين محمّد بن مكّيّ [غير الشهيد الأوّل]، فقرأتُ عليه من كتب الطبّ (شرح الموجز النفيسيّ)، و(غايةُ القَصد في معرفة الفَصد) من مصنّفات الشيخ المبرور المذكور، و(فصول) الفرغانيّ في الهيئة، وبعض (حكمة الإشراق)

بقايا «المدرسة النورية» في بعلبك، حيث تصدّى الشهيد الثاني للتدريس

للسهروورديّ، وقرأتُ في تلك المدّة بها على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر (الشاطبيّة) في علم القراءات، وقرأتُ عليه القرآنَ بقراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم.

ثمّ رجعتُ إلى جُبَع سنة ٩٣٨، وبها تُوفّي شيخنا الشيخ شمس الدين المذكور، وشيخنا المتقدّم الأعلى الشيخ عليّ في شهرٍ واحد، وهو شهر جمادى الأُولى، وكانت وفاة شيخنا السيّد حسن، رحمه الله، سادس شهر رمضان سنة ٩٣٣، وأقمتُ بالبلدة المذكورة إلى تمام سنة ٩٤١.

س: من دمشق الشام كانت رحلتكم التالية إلى مصر. ما الذي تُفيدونا به لو سمحتم حول هذه الرحلة؟

رحلتُ إلى مصر في أوّل سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكنَ من العلوم، واجتمعتُ في تلك الرّحلة بجماعةٍ كثيرةٍ من الأفاضل، فأوّل اجتماعي بالشيخ شمس الدين ابن طولون الدمشقيّ الحنفيّ، وقرأتُ عليه جملةً من الصحيحَيْن، وأجازني روايتَهما مع ما يجوز له روايته، في شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة.

وكان وصولي إلى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من السنة المتقدّمة، واشتغلتُ بها على جماعةٍ:

منهم: الشيخ شهاب الدين أحمد الرمليّ الشافعيّ، قرأتُ عليه (منهاج النوويّ) في الفقه وأكثر (مختصر الأُصول) لابن الحاجب، و(شرح العَضُديّ) مع مطالعة حواشيه، منها: السعديّة والشريفيّة. وسمعتُ عليه كتباً كثيرةً في الفنون العربيّة والعقليّة.

إحدى حجرات «المدرسة النورية» من الداخل

وسمعت بالبلد المذكور، أي مصر، من جملة متكثّرة من المشايخ يطول الخطبُ بتفصيلهم؛ منهم: الشيخ عُمَيْرة، والشيخ شهاب الدّين بن عبد الحقّ، والشيخ شهاب الدين البلقينيّ، والشيخ شمس الدين الديروطيّ وغيرهم. ثمّ ارتحلتُ من مصر إلى الحجاز الشريف سابعَ عَشَرَ من شهر شوّال سنة ٩٤٣.

ورجعتُ إلى وطني الأوّل بعد قضاء الواجب من الحجّ والعُمرة والتمتّع بزيارة النبيّ وآله وأصحابه صلوات الله عليهم. ووصلتُ رابعَ عشر من شهر صفر سنة ٩٤٤، وأَقمتُ بها إلى سنة ستّ وأربعين.

س: ماذا أيضاً عن سفركم إلى العراق وإسطنبول، لقد قيل الكثير عمّا شهدتموه من أحداث وما وقفتم عليه من معارف في هذين البلدَين؟

سافرت إلى العراق لزيارة الأئمّة عليهم السلام، وكان خروجي سابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٦، ورجوعي خامسَ عَشَرَ من شهر شعبان منها. وسافرتُ لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجّة سنة ٩٤٨، واجتمعتُ في تلك الرحلة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسيّ، وقرأتُ عليه بعضَ (صحيح البخاريّ)، وبعض (صحيح مسلم)، وأجازني إجازةً عامّةً.

ثمّ رجعتُ إلى الوطن الأوّل المُتقدّم وأَقمتُ به إلى أواخر سنة إحدى وخمسين مُشتَغِلاً بمطالعة العلم ومذاكرته مستفرغاً وُسْعِي في ذلك.

حوزة الشهيد الثاني في بلدة جباع

ثمّ بَرَزَتْ إليّ الأوامرُ الإلهيّة والإشاراتُ الربّانيّة بالسفر إلى جهة الروم، والاجتماع بمَن فيها من أهل الفضائل والعلوم، والتعلُّق بسلطان الوقت والزمان السلطان سليمان بن عثمان، وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبع ومَساق الفهم، لكن ما قُدّرَ لا تصل إليه الفكرةُ الكَليلة والمعرفةُ القليلة من أسرار الحقائق وأحوال العواقب، والكَيّسُ الماهر هو المُستَسْلِمُ في قبضة العالم الخبير القاهر، الممتثلُ لأوامره الشريفة، المنقادُ إلى طاعته المنيفة.

كيف لا؟ وإنّما يأمر بمصلحةٍ تعود على المأمور مع اطّلاعه على دقائق عواقب الأُمور، وهو الجواد المطلق والرحيم المحقّق، والحمد لله على إنعامه وإحسانه وامتنانه، والحمد لله الذي لا يَنْسى مَن ذَكَرَه، ولا يُهْمِلُ مَن غفل عنه، ولا يُؤاخِذُ مَن صَدَف عن طاعته، بل يَقُوده إلى مصلحته ويُوصِلُه إلى بُغْيَته.

وكان الخروج إلى السفر المذكور بعد بوادر الأوامر به والنواهي عن تركه، والتخلُّف عنه وتأخيره إلى آخر ثاني عشر من شهر ذي الحجّة الحرام سنة ٩٥١، وأقمتُ بمدينة دمشق بقيّة الشهر، ثمّ ارتحلتُ إلى حَلَب، ووصلت إليها يوم الأحد سادس عشر من شهر المحرّم سنة ٩٥٢، وأقمتُ بها إلى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة.

ومن غريب ما اتّفق لنا بحلب أنّا أزْمَعْنا عند الدخول إليها على تخفيف الإقامة بها بكلّ ما أمكن ولم نَنْوِ الإقامة، فخرجت قافلة إلى الروم على الطريق المعهود المارّ بمدينة أَذَنَة، فاستخرنا

حوزة المحقّق المَيسي في بلدة ميس الجبل

الله على مرافقتها فلم يُخِرْ لنا، فكان قد تهيّأ بعض طلبة العلم من أهل الروم إلى السفر على طريق طوقات، وهو طريق غير مسلوك غالباً لقاصد قسطنطنيّة، وذكروا أنّه قد تهيّأتْ قافلة للسفر على الطريق المذكور، فاستخرنا الله تعالى على السفر معهم فأخار به، فتأخّر سفرهم وساءنا ذلك، فتفأّلْتُ بكتاب الله تعالى على الصبر وانتظارهم، فظهر قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ..﴾ الكهف:٢٨، فاطمأنّتِ النفسُ لذلك.

وخرجت قافلة أُخرى من طريق أذنة، وأشار الأصحاب برفقتهم، لما يظهر من مناسبتهم، فاستخرتُ الله تعالى على صُحبتهم، فلم يظهر خيرة، وتفأّلْتُ بكتاب الله تعالى على انتظار الرُّفْقة الأُولى وإنْ تأخّروا كثيراً، فظهر قوله تعالى: ﴿ وَمَن

يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿.فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ..﴾ الأنفال:١٦.

ثمّ خرجت قافلة أُخرى على طريق أَذنة، فاستخرتُ الله تعالى على الخروج معها فلم يظهر خيرة، فَضِقتُ لذلك ذَرْعاً، وسَئِمْتُ الإقامةَ وتفأَّلتُ بكتاب الله تعالى في ذلك، فظهر قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يونس:١٠٩.

ثمّ خرجت قافلة رابعة على الطريق المذكور، فاستخرت الله تعالى على رفقتها فلم يظهر خيرة، وكانت القافلة التي أُمِرنا بالسفر معها تُسَوّفنا بالسفر يوماً وتكذب كثيراً في إخبارنا، ففتحتُ المصحف صبيحة يوم السبت وتفأَّلتُ به، فظهر قوله تعالى ﴿..وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الأنبياء:١٠٣، فتعجّبنا من ذلك غايةَ العجب، وقلنا: إن كانت القافلة تسافر في هذا اليوم، فهو من أعجب الأُمور وأغربها وأتمّ البشائر بالخير والتوفيق، فأرسلنا بعض أصحابنا يستعلم الخبر، فقالوا له: اذهب إلى أصحابك وحَمّلوا ففي هذا اليوم نخرج، فحمدنا الله تعالى على هذه النِّعَمِ العظيمة والمنَنِ الجسيمة التي لا نَقْدِرُ على شكرها.

ثمّ بعد ذلك ظهرت لإقامتنا بحلب تلك المدّة فوائدُ وأسرار لا يمكن حصرها، وظهرتْ لسفرنا على الطريق المذكور أيضاً فوائدُ وأسرار وخيرات لا تُحصى، وأقلّها أنّه بعد ذلك بَلَغَنا ممّن سافر على تلك الطريق التي نُهِينا عنها أنّ عليقَ الدوابّ [أي علف الدوابّ] وزادَ الناس كان في غاية القلّة والصعوبة، والغلاء العظيم، حتّى أنّهم كانوا يشترون العليقة الواحدة بعشرة دراهم عثمانيّة، واحتاجوا مع ذلك إلى حمل الزاد أيّام؛ لعدم وجوده في الطريق لا للدوابّ ولا للإنسان، فلو نسافر في تلك الطريق لاتّجَه علينا ضررٌ عظيمٌ لا يُوصَف، بل لا يَفِي جميع ما كان بيدنا من المال بالصرف في الطريق، خاصّة لكثرة ما معنا من الدوابّ والأتباع، وكانت العليقة في طريقنا أكثر الأوقات بدرهم واحد عثمانيّ، وأقلّ، إلى أن وَصَلْنا، ولم نفتقر إلى حمل شيء، بل جميع طريقنا تمرّ على البلاد العامرة والخيرات الوافرة، فالحمد لله على نِعَمه الغامرة.

ارتاد الشهيد الثاني الحوزة العلميّة في بلدة ميس العامليّة مدّة ثماني سنوات

كانت بلدة جباع العامليّة مقرّ إقامة الشهيد الثاني، ومنها انطلق في رحلاته العلميّة إلى الشام ومصر وغيرهما

بعد صدور «الإشارات الربانيّة» عزم الشهيد الثاني على الخروج إلى بلاد الروم، قائلاً: «الكَيِّسُ الماهر هو المستسلم في قبضة العالم الخبير القاهر»

الحرّيّة في القرآن الكريم

تعزيزُ الإنسانيّة، وترشيدُ إرادة الاختيار

السيّد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره

ما يلي مختصر بحث للشهيد السيّد محمّد باقر الصدر رضوان الله تعالى عليه، حول مفهوم الحرّيّة، وَصِلتها بالإنسان، وتطبيقاتها في الغرب ومن المنظور الإسلاميّ، نقلاً عن كتابه (المدرسة القرآنيّة).

مفهوم الحرّيّة من تلك المفاهيم التي تلتقي عندها مشاعر الناس جميعاً، وهذه الصِّلة العاطفيّة التي تربط الإنسان بالحرّيّة ليست ظاهرة حديثة في تاريخ الإنسانيّة، ولا من نتائج الكيانات الحضاريّة التي يعيشها الإنسان الرأسماليّ والاشتراكيّ اليوم.

تُعبّر هذه الصلة العاطفيّة التي تربط الإنسان بالحرّيّة عن عاطفة أصيلة في النفس البشريّة، تشعّ من كلّ ثنايا التاريخ حتى تبدو قصّة الإنسان نفسه، وكأنّها معركة تحرّر وتحرير يخوضها على مرّ الزمن منذ أعماق التاريخ إلى يوم الناس هذا، بالرغم من اختلاف أشكال المعركة وألوانها وأهدافها وأساليبها باختلاف القِيَم الفكريّة التي ترتكز عليها.

وهذه الظاهرة العاطفيّة العامّة نجد تفسيرها في جانب ثابت من تكوين الإنسان وهو الإرادة؛ فالإنسان مجهّز ضمن تركيبه العضويّ والنفسيّ بالإرادة، وهو لذلك يحبّ الحرّيّة ويهواها، لأنّها تعبير عمليّ عن امتلاكه إرادتَه وإمكان استخدامها لمصالحه، وكما يسوءُ الإنسان أن يُعَطّل أيّ جهاز من أجهزته عن العمل، يسوؤه بطبيعة الحال أن يُشلّ جهازه الإراديّ بانتزاع الحرّيّة منه.

تحديد الحرّيّة

آمنَ الإنسان منذ البدء بأنّ الحرّيّة المطلقة لا يمكن أن توفَّر للفرد الاعتياديّ الذي يعيش ضمن مجتمع مترابط، لأنّ الحرّيّة المطلقة لكلِّ فردٍ في المجتمع تصطدم بحرّيّات الآخرين، وبالتالي يستقطب التناقض في الجهاز الاجتماعيّ، حتى يتفسّخ، فلِكَي يحتفظ كلّ فرد بنصيبٍ من حرّيّته بعيداً عن تدخّلات الآخرين، لا بدّ له أن يتنازل عن شيءٍ منها، وينعكس هذا التنازل على الصعيد الاجتماعيّ في القوانين التي تشرَّع لتنظيم المجتمع وضبط تصرّفاته.

وهكذا تصبح الحرّيّة المطلقة فكرة خياليّة، حين يبدأ الإنسان حياته الاجتماعيّة، ويصبح الشيء المهمّ هو تحديد النصيب الذي يجب أن يحتفظَ به كلُّ فرد من الحرّيّة.

الحرّيّة في الحضارات الغربيّة

حرصت الحضارات الغربيّة الحديثة على تقليص هذا التحديد - تحديد الحرّيّة - إلى أبعد الحدود، وتوفير أكبر نصيب ممكن من الحرّيّة لكلِّ فردٍ في سلوكه الخاصّ، وهذا النصيب هو القدر الذي لا يتعارض مع حرّيات الآخرين، فلا تنتهي حريّة كلّ فرد إلّا حيث تبدأ حرّيات الأفراد الآخرين.

وقد سكِرت الإنسانيّة على أنغام هذه الحرّية، وأغفت في ظلالها بُرهة من الزمن، وهي تشعر لأوّل مرّة أنّها حطّمت كلَّ القيود، وأنّ هذا العملاق المكبوت في أعماقها منذ آلاف السنين قد انطلق لأوّل مرّة، وأُتيح له أن يعمل كما يشاء في النور دون خوف أو قلق.

ولكن لم يدُم هذا الحلم اللّذيذ طويلاً، فقد بدأت الإنسانيّة تستيقظ ببطء، وتدرك بصورة تدريجيّة، ولكنّها مُرعبة، أنّ هذه الحرّيّة ربطتها بقيودٍ هائلة، وقضت على آمالها في الإنطلاق الإنسانيّ الحرّ؛ لأنّها وجدت نفسها مدفوعة في عربة تسير باتّجاه مُحدّد، لا تملك له تعبيراً ولا تطويراً، وإنّما كلّ سَلْوَتها وعزائها وهي تطالع مصيرها في طريقها المحدّد: أنّ هناك مَن قال لها إنّ هذه العربةَ عربةُ الحرّية، بالرغم من هذه الأغلال وهذه القيود التي وضعت في يدَيها.

أمّا كيف عادت الحرّيّة قيْداً، وكيف أدّى الانطلاق إلى تلك الأغلال التي تجرّ العربة في اتّجاه مُحدَّد محتومٍ؟! فهذا كلّه ما قدّره الإسلام قبل أربعة عشر قرناً، حيث جاء بمفهوم أعمق للحرّيّة، وأعلنها ثورة تحريريّة كبرى للإنسان، ولكنّها ليست ثورة على الأغلال والقيود بشكلها الظاهريّ فحسب، بل على جذورها النفسيّة والفكريّة.

الحرّية الإسلاميّة

ولَئِن كانت الحرّيّة في الحضارات الغربيّة تبدأ من التحرّر لتنتهي إلى ألوان من العبوديّة والأغلال - كما سنعرف - فإنّ الحرّية الرحيبة في الإسلام على العكس؛ فإنّها تبدأ من العبوديّة المخلصة لله تعالى، لتنتهي إلى التحرّر من كلّ أشكال العبوديّة المهينة: ﴿..تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ..﴾ آل عمران:٦٤.

أرأيتَ كيف يقيم القرآن التحرّر من كلّ العبوديّات على أساس الإقرار بالعبوديّة المخلصة لله تعالى؟!

أرأيت كيف يجعل من علاقة الإنسان بربّه الأساس المتين الثابت لتحرّره في علاقاته مع سائر الناس، ومع كلّ أشياء الكون والطبيعة؟!

التحرير الداخليّ للإنسانيّة

يبدأ الإسلام عمليّته في تحرير الإنسانيّة من المحتوى الداخليّ للإنسان نفسه، لأنّه يرى أنّ منحَ الإنسان الحرّيّةَ ليس أن يُقال له: هذا هو الطريق قد أخليناه لك، فَسِرْ بسلام، وإنّما يصبح الإنسان حرّاً حقيقةً حين يستطيع أن يتحكّم في طريقه، ويحتفظ لإنسانيّته بالرأي في تحديد الطريق ورسم معالمه واتّجاهاته، وهذا يتوقّف على تحرير الإنسان قبل كلّ شيءٍ من عبوديّة الشهوات التي تعتلج في نفسه، لتصبح الشهوة أداةَ تنبيهٍ للإنسان إلى ما يشتهيه، لا قوّة دافعة تُسخِّر إرادة الإنسان دون أن يملك بإزائها حَولاً أو طولاً؛ لأنّها إذا أصبحت كذلك خسر الإنسانُ حرّيته منذ بداية الطريق. ولا يغيّر من الواقع شيئاً أن تكون يداه طليقتَيْن، ما دام عقله وكلّ معانيه الإنسانيّة التي تميّزه عن مملكة الحيوان مُعتقلة ومُجمَّدة عن العمل.

ونحن نعلم أنّ الشيء الأساسيّ الذي يميّز حرّية الإنسان عن حرّية الحيوان بشكلٍ عامّ، أنّهما وإن كانا يتصرّفان بإرادتهما، غير أنّ إرادة الحيوان مُسخّرة دائماً لشهواته وإيحاءاتها الغريزيّة، وأمّا الإنسان فقد زُوّد بالقُدرة التي تمكّنه من السيطرة على شهواته وتحكيم منطقه العقليّ فيها، فَسِرُّ حريّته بوصفه إنساناً، إذاً، يكمن في هذه القدرة، فنحن إذا جمّدناها فيه واكتفينا بمنحه الحرّيّةَ الظاهريّة في سلوكه العمليّ، ووفّرنا له بذلك كلّ إمكانيات ومغريات الاستجابة لشهواته، كما صنعت الحضارات الغربيّة الحديثة، فقد قضينا بالتدريج على حرّيته الإنسانيّة في مقابل شهوات الحيوان الكامن في أعماقه، وجعلنا منه أداة تنفيذٍ لتلك الشهوات، حتّى إذا التفت إلى نفسه في أثناء الطريق، وجد نفسه محكوماً لا حاكماً، ومغلوباً على أمره وإرادته.

وعلى العكس من ذلك، إذا بدأنا بتلك القدرة التي يكمن فيها سرّ الحرّيّة الإنسانيّة فأنميناها وغذّيناها وأنشأنا الإنسان إنشاءً إنسانيّاً لا حيوانيّاً، وجعلناه يَعي أنّ رسالته في الحياة أرفع من هذا المصير الحيوانيّ المبتذَل، الذي تسوقه إليه تلك الشهوات، وأنّ مَثَلَهُ الأعلى الذي خُلِق للسّعي في سبيله أسمى من هذه الغايات التافهة والمكاسب الرخيصة التي يحصل عليها في لذّاته المادّيّة، إذا صنعنا ذلك كلّه، فسوف نخلق الإنسان الحرّ القادر على أن يقول: «لا» أو «نعم» من دون أن تكمّم فاه أو تغلّ يديه هذه الشّهوة الموقوتة، أو تلك اللذّة المبتذلة.

تبدأ الحريّة في الغرب بالتفلّت من كلّ ضابطة، وتنتهي عند العبوديّة لمظاهر الحياة الماديّة

الحريّة في الإسلام تبدأ بالإذعان لقدرة الله تعالى، وتنتهي بالتحرّر من سطوة الماديّات والاعتباريّات

ثقافة المقاومة الإسلاميّة

التحلّي بمكارم الأخلاق، والتّسديد الإلهيّ

الشيخ حسين كوراني

أيّ ثقافة هي ثقافة المقاومة الإسلاميّة؟

يكتسب هذا السؤال قيمة جوهريّة بعد نحو ثلاثة عقود على الولادة المباركة للمقاومة الإسلاميّة في لبنان، وما تلا ذلك من انجازات مظفّرة على مستوى الوطن والأمّة.

هذه المقالة لسماحة العلّامة الشيخ حسين كوراني تسعى إلى تقديم الجواب على السؤال الآنف الذكر، ثمّ لتبيّن السِّمات الفريدة والمميّزة للخصوصيّة الثقافيّة للمقاومة الإسلاميّة التي أفضت إلى تحقيق الانتصارات الإلهيّة على امتداد عقدَين متّصلَين.

«شعائر»

لقد شكّلت المقاومة الإسلاميّة في لبنان، وما تزال، علامة فارقة، بل مفصلاً رئيساً، بل قطعاً في مسار المواجهة مع العدو الصهيونيّ، واستحقّت بجدارة أن تفرضَ على كلّ مقاربة للاحتلال الصهيونيّ لفلسطين وسِجّل احتلالاته وإجرامه في المنطقة، أن تنقسم إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل المقاومة الإسلاميّة، ومرحلة ما بعدها.

وسيتّضح، يوماً بعد يوم، أنّ آثار هذا الإنجاز النوعيّ المستمرّ ليست، في جوهرها، من المعدن الذي يمكن محاصرته في نطاق جغرافيّ مُعيّن.

ولم تكن المقاومة الإسلاميّة لتحقّق ذلك، ولا شيئاً منه، لو أنّها كانت تصدر في مجال الفكر والرؤية والثقافة، ممّا يصدر منه الآخرون.

وتمسّ الحاجة إلى تأصيل هذا الأصل وبلورة مفرداته، مخافة أن تزداد موجات الخطاب السياسيّ التكتيكيّ، قوّةَ تردُّد، وتتراجع موجات الخطاب الاستراتيجيّ، فيختلط الأمر على الأجيال القادمة، ويغلب عليها الظنّ بأنّ فرادة المقاومة الإسلاميّة ترجع إلى عوامل يجمعها عامل «الصدفة»، ولا ترجع إلى تميُّزٍ فكريّ وثقافيّ.

لقد جرّب الجميع مناهجهم في مواجهة العدوّ الصهيونيّ، وعندما تراجعوا وانحسروا تقدّمت المقاومة الإسلاميّة، وأمكنها أن تحصد من النتائج ما عجز عنه الآخرون، وفي حين لم تحتكر المقاومة الإسلاميّة العمل العسكريّ، وكان من مصلحتها أن يشارك الآخرون؛ ظلّ الجميع بكلّ أطيافهم متفرّجين، لم يقووا على المنازلة إلّا لماماً، وبشكلٍ أشبه ما يكون بالاستعراض.

وربَّ قائل: إنّ السبب في ذلك يرجع إلى الفرق بين بناء الشخصيّة على أساس الرؤية الإسلاميّة، وبين غيرها، وهو أمرٌ مفروغٌ منه، إلّا أنّ هذا لا يفسّر السبب في بقاء الكثيرين من الإسلاميّين، في الوسطَيْن الشيعيّ والسنّيّ، أيضاً متفرّجين، لم يتمكّنوا من الانخراط في خوض لُجَج المواجهة.

إنّ هذا يكشف بوضوح أنّ البناء الفكريّ والثقافيّ للمقاومة الإسلاميّة بناءٌ إسلاميّ، بإضافةِ أنّه من نوعٍ خاصّ.

هذه الخصوصيّة هي التي ينبغي التركيز عليها وتبيان مميّزاتها، عن طريق طرح السؤال التالي: أيُّ ثقافة إسلاميّة هي ثقافة المقاومة؟

يبرّر هذا السؤال، بالإضافة إلى ما تقدّم، أنّ وصف «الإسلاميّة» في ما درج عليه الاستعمال فضفاض جدّاً يتّسع لمشارب مُتعدّدة، واتّجاهات متغايرة، قد تَصِل إلى حدّ التباين، تباينِ الإسلام الإيرانيّ، والإسلام السعوديّ، كما يذكر مثلاً.

ولا تهدف هذه الإثارة إلّا للقيام ببعض واجب حفظ دماء الشهداء، وجهاد المجاهدين من خلال تظهير الإطار الفكريّ الذي أمكنه أن يسطِّر بهم، بتوفيق الله تعالى، أروع الملاحم في الزمن الصعب، الذي أُريدَ له أن يكون بداية النهاية للأُمّة، فضلاً عن قضيّتها المركزية.

ولا يهدف حفظ دماء الشهداء وجهاد المجاهدين إلى وضع الأمور في نصابها فحسب، بل يهدف إلى الإسهام في حراسة النهج الذي أحرز النصر؛ فالمعركة مستمرّة، وما أُنجز هو بمنزلة التأسيس لكلّ الجولات القادمة.

من هنا فإنّ الحديث عن ثقافة المقاومة يدخل في صميم الضّرورات، ويجب أن ينأى بنفسه ويُرْبَأ به عن الانحدار إلى بيئة تسجيل النقاط، أو الغمز من قناة هذا المنحى الثقافيّ أو ذاك.

إنَّ البُعد الإيجابيّ هو الهدف.

وعلى هذا الأساس يُمكن الإجابة عن سؤال ثقافة المقاومة الإسلاميّة كما يلي:

إنّها الثقافة الإسلاميّة في خطّ الإمام الخمينيّ رضوان الله عليه.

وبديهيّ أنّ للبعض ملاحظاتهم وآراءهم وردّات فعلهم على هذه الإجابة، والتي ترجع كلّها إلى السؤال التالي:

وهل طرح الإمام الخمينيّ شيئاً غير الإسلام؟

والجواب: إنّ ما كان سائداً قبل الإمام – في أوساط الإسلام الحركيّ – هو اجتهاداتٌ في فهم الإسلام، كشفَ طرحُ الإمام نقاطَ الضعف فيها، ليخرج الطرح الإسلاميّ من دائرة الانتقائيّة والتجزئة وردّات الفعل، إلى دائرة الفعل، ويقدّم الإسلام كما هو بشموليّته وكلّ أبعاده.

الإمام الخمينيّ مرشداً ومؤسِّساً

ولدى الدخول في الخطوط العامّة لذلك... أكتفي بذكر أنّ طرحَ الإمام للإسلام تميّز – في ما تميّز به – بما يلي:

١- تظهير الإسلام كلّه، غَيبه وشهادته، عبادته وجهاده، العمل على إقامة الحُكم والزهد، حقوق الإنسان بكلّ أطيافها وموقعها من حقّ الله تعالى، حمْل هموم المسلمين والمستضعفين عموماً، وحمْل هَمِّ بناء النفس، وهكذا..

فلم يُعْنَ خطّ الإمام بتظهير جملة من المفاهيم على حساب المفاهيم الأخرى، ولم يقع في شراك الانتقائيّة ليعرض من الإسلام ما ينسجم مع روح العصر ويحيّد من التداول ما يصدم هذه الروح، فمستحبّات رجب وشعبان والمستحبّات عموماً، ينبغي الحديث عنها كما ينبغي الحديث عن إقامة الحكم الإسلاميّ مثلاً، حيث إنّهما معاً من الإسلام، وإذا كان ثمّة من اختلاف في الرتبة، فالذي يحدّد ذلك هو النّصّ وليس الانسجام مع روح العصر.

٢- أنّ الهدف من الخطاب الإسلاميّ أخلاقيّ، وهو يعني إيلاء عمليّة التحلّي بمكارم الأخلاق الأهميّة القصوى، بحيث تصبح الإطار لكلّ فعاليّة، حتّى السياسيّة والعسكريّة والفكريّة، ولذلك نجد أنّ الخطاب السياسيّ للإمام ينطلق من البُعد الأخلاقيّ، سواء في مجال حديثه عن «الشاه»، أو عن القوى المُتجبّرة التي يعتبر أنّ مشكلتها تكمن في الأهواء النفسيّة، أو غير ذلك.

وبهذا يصبح خطاب الإمام منسجماً غاية الانسجام مع الهدف من بعثة المصطفى الحبيب التي هي تتميم مكارم الأخلاق.

لم تكن المقاومة الإسلاميّة لتحقّق إنجازها النوعيّ، لو أنّها صدرت في مجال الفكر والثقافة، ممّا يصدر منه الآخرون

الخطاب الإسلاميّ يُولي مكارمَ الأخلاق الأهميّة القصوى، ويريدها إطاراً لكلّ عمل.. حتّى السياسي والعسكري

٣- أنّ الواقعيّة والعقلانيّة والموضوعيّة تعني عدم الفصل بين ساحات الوجود عبر السائد من أخذ شريحة الدنيا بمعزل عن الآخرة، بل يجب النظر إلى الدنيا في موقعها من منظومة الوجود ككرة صغيرة من كُرات مجرّاته اللامتناهية.

ولئن كان كلّ طرحٍ إسلاميٍّ يدّعي أنّه يصدر من ذلك، فإنّ العبرة بالتزام هذه الحقيقة والإصرار على استحضارها والصدور منها في المواقف والمنعطفات، بحيث يبدو جلياً للمراقب أنّ هذا الطرح يراعي منطلقاته تماماً، وهذا ما نجده بكلّ جلاءٍ في مفردات خطاب الإمام، ما يجعلنا عبره نتواصل مع روح النصّ وجوهره.

٤- التعامل مع الأمّة الإسلاميّة، وعدم الخضوع للتقسيمات التي تفرض حضورها بقوّة، سواء في ذلك التقسيمات الطائفيّة أو العرقيّة أو السياسيّة، وغيرها، مع مراعاة الأحكام الشرعيّة بدقّة.

وفي هذا السياق لا يعترف خطاب الإمام بتقسيم العالم الإسلاميّ إلى أقطار مُتناحرة وكيانات مُتباينة، الأمر الذي لا يستطيع أي طرح إسلاميّ أن يهمله، وإن كان بالوسع اللجوء في تظهيره إلى المراتب الدنيا، التي تصل إلى حيث تلحّ على مسلمي كلّ بلد بالاندماج في مجتمعاتهم، وهو ما يعني عملياً نسيان مقولة دار الإسلام أو العالم الإسلاميّ.

والمتأمّل في خطاب الإمام حول فلسطين والغدّة السرطانيّة الصهيونيّة، يدرك بجلاء أنّ القدس كانت دائماً وأبداً محطّ الاهتمام، ولم يكن الاهتمام بإيران يوماً بمنأى عن كونها جزءاً من العالم الإسلاميّ الذي تُشنّ عليه الغارة الاستعماريّة، التي يشكّل الوجود الصهيونيّ في فلسطين حجر الزاوية لمشروعها في إخضاع الأُمّة والقضاء عليها.

٥- لم يهادن خطاب الإمام يوماً نواطير الاستعمار الذين نصّبهم اليهود والمستعمرون «حكّاماً» على الكانتونات الإسلاميّة الممزّقة لجسد الأُمّة، وهو يعتبر التحالف معهم بمنزلة الاستقالة من الممانعة والاعتراض، فالثورة تعني الخروج من أَسْر معادلاتهم، وتشكّل هذه القناعةُ النقيضَ للقناعة السائدة التي تمّ التعبير عنها بضرورات الأنظمة وخيارات الأمّة، حيث إنّ المنطلق في خطاب الإمام كان دائماً هو أنّ ضرورات الأنظمة تستدعي قبل كلّ شيء قمع الأُمّة ومصادرات كلّ خياراتها.

٦- الفهم المتميّز للاحتياط في الدماء: ففي حين يحاذر الكثيرون من أيّ عمل يؤدّي إلى إراقة الدماء، يصرّ خطّ الإمام على أنّ تجنّب المواجهة كثيراً ما يؤدّي إلى إراقة سيل عَرِم من الدماء كان بالإمكان تجنّبها لو حملت روح التضحية البعض على بذل القليل من الدماء.

مثال ذلك: إنّ وجود حاكم ظالم يُمعن في الناس بطشاً وتنكيلاً يؤدّي إلى إراقة الكثير من الدماء، ولكن لو تصدّى عددٌ من الاستشهاديّين لإنزال حكم الله العادل بهذا الحاكم الطاغية لأَمكنَ أن تتجنّب الأمّة الأخطر من الدماء، وبهذا يكون التطبيق الدقيق للاحتياط في الدماء.

ولدى تطبيق هذا المبدأ على الصراع مع العدوّ الصهيونيّ، وما أنجزته المقاومة الإسلاميّة، نجد أحد أوجه الفرق بين خطّ الإمام وغيره.

وبمقدار ما يعبّر الخطاب الإسلاميّ عن حقيقة الإسلام، يكون فطريّاً تهفو له النفوس وتهوي إليه الأفئدة، ولقد وجد أهلنا في لبنان في خطاب الإمام ذلك، فكانت استجابتهم له نوعيّة، وهو ما مكّن من انطلاقة المقاومة الإسلاميّة وتصاعد وتيرتها، وصولاً إلى النصر الأوّل المبين.

ومن المفيد أن نستحضر الأجواء التي رافقت دخول الصهاينة إلى لبنان في البداية، والاسترخاء الذي طبع تواجدهم داخل التجمّعات السكّانيّة ونزهاتهم على شواطئ البحر وغيره، وكيف انقلب الأمر فجأة إلى ما جعلهم حتّى الآن غارقين في ندمٍ مقيم ودهشةٍ مذهلة.

يؤكّد ما تقدّم، أنّ المقاومة الإسلاميّة ليست استمراراً لأيّ نهجٍ كان قبلَها، غير خطّ الإمام الخمينيّ.

ويؤكّد أيضاً أنّها لم تحقّق إنجازاتها بفعلٍ استراتيجيٍّ لبنانيّ، بل بفعلٍ استراتيجيٍّ إسلاميّ على أيدي مسلمين من لبنان تواصلوا مع خطاب الإمام، ولم يجدوا في ما كان سائداً من الطروحات الإسلاميّة في لبنان ما يصوغُ شخصيّاتهم في مدرسة الحبّ الإلهيّ، مدرسة ﴿..وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ طه:٣٩.

هذه هي بعض ملامح ثقافة المقاومة، وهذه هي مدرسة شهداء المقاومة الإسلاميّة ومجاهديها الجرحى والأسرى وسائر المنتظِرين، وفي جنباتها يتردّد صدى الجراح.. والحديث ذو شجون..

٨ رجب ١٤٢٣هجرية

من أبرز أعلام الشعر في العالم العربي

العالم الجليل، والشاعر الكبير الشيخ عبد الحميد السَّمَاويّ

إعداد: سليمان بيضون

* شاعر وأديب معروف من أسرة دينيّة في مدينة السّماوة العراقيّة.
* هاجر إلى النجف الأشرف وهو شابّ، حيث اختلف إلى أساتذة فُضلاء لطلب العلم حتّى فاق أقرانَه.
* عندما طالت هجرته طلبه أبناء منطقته ليكون المرشد فيهم.
* كان مثالاً بارزاً لخصوبة الذِّهن، محترَماً في قومه، فيصلاً في منازعاتهم العشائريّة.
* امتاز بشعره الولائيّ، وعارض أشهرَ قصائد إيليّا أبي ماضي بقصيدة فلسفيّة محكمة.
* في ما يلي تعريف موجز بحياة الشيخ عبد الحميد السماويّ رحمه الله مقتبَسٌ من مصادر مختلفة.

الشيخ عبد الحميد آل عبد الرسول، الشهير بالسماويّ ويقال له أيضاً: الشيخ حميد السماويّ. ينتهي نسبه إلى قبيلة «بني عبس» وهي تقطن «وادي السماوة» في العراق من قديم العصور. ولد في مدينة «السماوة» سنة ١٣١٥ هجريّة.

والده هو الشيخ أحمد بن محمّد بن عبد الرسول، كان عالماً فقيهاً مجتهداً، وقد ألَّف كتباً ورسائل، منها: كتاب في الصلاة (كشف الغوامض في شرح الفرائض من شرائع الإسلام للمحقّق الحلِّيّ)، وكتاب في الأصول اللفظيّة والعمليّة، ورسالة في المنطق، وكتاب في المعاني والبيان، ومنظومة في النحو.

هاجر الشيخ عبد الحميد إلى النجف الأشرف وهو شابّ حدَث السنّ؛ وبعد أن أكمل مقدّمات العلوم الحوزويّة تلقّى الدروس العالية على أساتذة كبار، أمثال: الميرزا حسن النائينيّ، والشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ، وميرزا فتّاح الزنجانيّ صاحب (الحاشية على المكاسب).

وما إنْ طالت هجرة الشيخ عبد الحميد لطلب العلم حتّى ألحّ عليه أهل السماوة بالرجوع إلى بلده ومسقط رأسه، ليقوم بمهامّ الإرشاد الدينيّ ورعاية شؤونهم الاجتماعيّة، فلم يجد بُدّاً من الاستجابة لهم بعد أن صارت لديه المُؤهّلات العلميّة الكافية، مُستجيزاً أساتذته من مراجع الدين في ذلك.

منظر عام لمدينة السماوة عاصمة محافظة المثنى

العالِم والشاعر

يُعدّ الشيخ السماويّ شاعراً مُبرّزاً بما أُوتي من جزالة القول، وقوّة الذهن، واتّقاد الفكر، وهو أحد أعلام الشعر في العالم العربيّ؛ وفي العراق لا يوازيه في شهرته وشاعريّته غير أفرادٍ عددَ أصابع اليد. ولكنّ صفته العلميّة حجبت إلى حدّ ما صفته الأدبيّة.

قال عنه السيد حسن الأمين في (مستدركات أعيان الشيعة): «الشيخ حميد السماويّ ابن الشيخ أحمد. ولد في السماوة سنة ١٣١٥ للهجرة ونشأ فيها، ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف للدراسة، ثمّ عاد إلى السماوة مرجعاً دينيّاً فيها، فكان ذا أثرٍ محمود

في سيرته وتوجيهه، ومن هنا غلبت عليه الصفة الدينيّة وتوارت شاعريّته وراء مسلكه في التعامل مع الناس في شؤونهم اليوميّة ومشاكلهم الحياتيّة، فلم يشتهر شاعراً مع أنّه كان في الطليعة من شعراء العراق المبدعين في عصره».

وقال الشيخ رضا الحاجّ أحمد إسماعيل المطوّف: «إنّ السماويّ... قد شغله تصدّيه للعلوم الروحانيّة والإفتاء، فقد كان عالماً فقيهاً، وشخصيّته مرموقة فذّة، وإليه يرجع الحلّ والعقد في الأحكام الشرعيّة في بلدة السماوة وتوابعها، ناهيك عن شرف العلم ومكانته في النفوس، وهو فوق مكانة الشعر عند الناس، لذلك ليس مستغرباً إذا وجدتَ السماويّ يحاول أن يُسدل الستار عن شاعريّته، وليس مستغرباً أن يفعل ذلك».

مدينة السماوة على ضفاف الفرات

السماويّ الشاعر

امتاز الشيخ حميد السماويّ من بين الشعراء بالمَلَكة المُتدفّقة السريعة، توحي له بالمعاني البِكر بلا تكلّفٍ ولا تردّد. ومن يتتبّع شعره يجده يفيض بالحيويّة ويتماشى مع تطوّر الزمن، فيدخل كلّ قلب في كلّ عصر... يحرّك العواطف، ويهزّ المشاعر، ويخلب الألباب، ويفعل في النفوس ما يفعله بليغ الكلام في ذوي الأفهام.

له ثلاثة دواوين: أمّا الأوّل فقد ضاع عندما أخذه بعض المُعجبين بشعره كي يستنسخه، وكان يضمّ معظم ما قاله في صباه، وأمّا الثاني فهو يضمّ ما حفظه من شعره السابق وما تأخّر عنه وقد سُرِق. والديوان الثالث، الذي يشتمل على شعره الأخير وما حفظه من الشعر القديم، هو المسمّى بـ (ديوان السماويّ)، وقد طبع بعد وفاته في «دار الأندلس» في بيروت.

وأمّا تقييم شعره، فقد كتب عنه جمعٌ غفير من الشعراء والكتّاب، وعدّه بعضهم أنّه أحد أعلام الشعر في الوطن العربيّ، وقد انبرت الصحف والمجلّات في البلاد العربيّة لنشر ما يقع بأيديها من شعره.

قال عنه السيّد حسن الحكيم: «كنت أقضي معه الوقت الطويل مُعجباً بحُسن حديثه وسرعة انتقاله، وهو يتمتّع بعقليّة كبيرة يخضع لها جليسُه. أمّا الناحية الشعريّة فَلَإنْ اشتهر [بشّار بن برد] عند الشعراء والأدباء بأبياته الحكيمات التي يقول فيها:

إذا كُنْتَ في كُلِّ الأُمورِ مُعاتِباً صَديقَكَ، لَمْ تَلْقَ الّذي لا تُعاتِبُه

فإنّك إذا تصفّحت شعر السماويّ لا تجد قصيدة تخلو من عدّة أبيات تكون مضرب مثل. وترى نفسك في جوٍّ من فحول شعراء الجاهليّة ويذكّرك بسوق عكاظ. فشعره يملك جزالة المعنى واللفظ».

شعره الولائيّ

صبّ الشيخ حميد السماويّ بعضاً من ولائه لأمير المؤمنين، عليه السّلام، في قالب الشعر، وكان له شرف أن تُكتَب أبيات له بالذهب على مدخل المرقد المطهَّر لوصيّ المصطفى، صلّى الله عليه وآله وسلّم، من قصيدة حازت على الجائزة الأولى في خمسينيّات القرن العشرين الميلاديّ تأريخاً للباب الذهبيّ فيه. والأبيات هي:

لِمَنِ الصُّروحُ بِمَجْدِها تَزْدانُ وَبِبابِ مَنْ تَتَزاحَمُ التِّيجانُ
هَذي عُروشُ الفاتِحينَ بِظِلِّها تَجْثو وَهَذا المُلْكُ وَالسُّلْطانُ
أقنومةُ العَقْلِ الّتي بِجَلالِها دَوّى الحَديثُ وَجَهْجَهَ الفُرْقانُ
إنْ لَمْ يَقُمْ رِضْوانُ عِنْدَ فِنائها فَلَقَدْ أَقامَ العَفْوُ وَالرِّضْوانُ
نَهَدَتْ إلى قَلْبِ الفَضا وَتَدا فَعَتْ فيهِ كَما يَتَدافَعُ البُرْكانُ
وَتَرَنَّحَتْ بِوَلاءِ آلِ مُحَمَّدٍ طَرَباً كَما يَتَرَنَّحُ النَّشْوانُ
فَتَشَتْ أَسْفارَ الخُلودِ فَشَعَّ لي مِنْها بِكُلِّ صَحيفَةٍ عُنْوانُ
شَمّاءُ لَمْ تَرْفَعْ ذُرى كِيوانِها إلّا وَطَأْطَأَ رَأْسَهُ كِيوانُ

يا دُرَّةَ الشَّرْقِ الّتي لِجَمالِها سَجَدَ الخَيالُ وَسَبَّحَ الوِجْدانُ
كَـمْ مِنْ جَليلٍ مِنْ صِفاتِكَ أَحْجَمَتْ عَنْ حَمْلِهِ الأَلْفاظُ وَالأَوْزانُ
حَسْبي إِلى عَفْوِ الإِلَهِ ذَريعَةٌ حَـرَمٌ يُؤَرَّخُ «بابُهُ الغُفْرانُ»

وله من قصيدة عنوانها «عيد الغدير» قوله:

بُلْبُلُ الوَحْيِ في ضِفافِ الغَديرِ صادِحٌ بِاسْمِ مَوْكِبِ التَّأْميرِ
يَتَحَدَّى الأَجْيالَ مَهْما تَرامَتْ في مَجاهيلِ عالَمٍ مَسْتورِ

حتّى قال:

يا أَخا المُصْطَفى تَعالَيْتَ شَأْناً عَنْ مَقامِ التَّمْثيلِ وَالتَّنْظيرِ
أَنا لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أُثْني فَحَسْبي مِنْ ثَنائي الشُّعورُ بِالتَّقْصيرِ
أَنْتَ في مُنْتَهى الظُّهورِ خَفِيٌّ وَلَدى مُنْتَهى الخَفا في ظُهورِ

وفي قصيدةٍ أخرى له في يوم الغدير عنوانها (حديث الدهر) يقول:

فَكَمْ حَمْحَمَتْ حَوْلَ الغَرِيِّ وَأَنْشَدَتْ تَقَدَّسْتَ يا وادي ابْنِ عِمْرانَ واديا
تُـرابُـكَ أَكْبادٌ تُـدافُ وَإِنَّما نَسيمُكَ أَرْواحٌ تَـهُبُّ عَواديا
فَهَـذا عَلِيٌّ فَوْقَ كُـرْسِيِّ مَـجْدِهِ يُرَتِّلُ صَوْتَ الحَمْدِ سَبْعاً مَثانِيا
تَغَشّاهُ مِنْ عَرْشِ الْمُهَيْمِنِ هَيْكَلٌ أَعادَ لَنا السَّبْعَ الطِّباقِ ثَمانِيا
وَهَذا عَلِيٌّ وَالأَهـازيجُ بِاسْمِهِ تَشُقُّ الفَضا النّائي فَهاتوا مُعاوِيا
أَعيدوا ابْنَ هِنْدٍ إِنْ وَجَدْتُمْ رُفاتَهُ رُفـاتاً وَإِلّا فَانْشُروها مَخازِيا

رثاؤه سيّدَ الشهداء عليه السّلام

للشيخ السماويّ قصائد تزيد عن الستّ في وقعة كربلاء الخالدة، منها قصيدته التي يقول فيها:

لا حُكْمَ إِلّا لِلْقَضاءِ وَما الّذي يَجْري بِغَيْرِ إِشاءَةٍ وَقَضاءِ
يَهْفُو الزَّمانُ وَلا تَزالُ صُروفُهُ تَـهْفُو بِغابِـرِهِ إِلى الهَيْجـاءِ
وَيَظَـلُّ يَـشْدو شَـدْوَهُ فَتُرَتِّلُ الأَشْهادُ ما اسْتَوْحى أَبو الشُّهَداءِ
عُوجي أُمَيَّةُ في حَضيضِكِ وَاضْرِبي صَفْحاً إِذا شِئْتِ عَنِ العَلْياءِ
خَلِّي الطَّريقَ لِأَهْلِـهِ وَتَـرَسَّلي في كُلِّ مُظْلِمَةٍ مِنَ الأَرْجاءِ
كَبَّلْتِ أَيْدي المُخْلصينَ بِحادِثٍ أَطْلَقْتِ فيهِ هَواجِسَ الشُّعَراءِ
ما اظْلَمَّ يَوْمِ الطَّفِّ إِلّا لِلأُوْلى فيهِمْ أَضاءَتْ لَيْلَةُ الإِسْراءِ

ويُكمل مخاطباً سيّد الشهداء عليه السّلام:

أَبَقِيَّةَ الخُلَفـاءِ مِـنْ عَمْرو العُلَى حَدَبَتْ عَلَيْكَ صَنايِعُ الخُلَفاءِ
ضاقَتْ رِحابُ الأَرْضِ فيكَ وَإِنَّها لَوْلا القَضاءُ فَسيحَةُ الأَرْجاءِ
فَلَئِنْ سَمَوْتَ مُصَفَّداً نَحْوَ العُلَى فَلَقَدْ هَوَيْتَ مُوَزَّعَ الأَشْلاءِ
أَجْهَدْتَ نَفْسَكَ في شُؤونٍ لَمْ يَزَلْ فيها حُسامُكَ أَبْلَغَ الخُطَباءِ
رِفْقاً بِهِمْ رِفْقاً فَلَسْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبورِ مَواعِظَ الأَحْياءِ
أَرْسَلْتَها خُطَباً تَـرِنُّ وَما عَسى تُجْدي بِجَنْبِ الصَّخْرَةِ الصَّمّاءِ
ما كُنْتُ أَحْسَبُ وَالْمُقَدَّرُ كائِنٌ أَنَّ العُقولَ تُصابُ بِالإِغْماءِ

معارضته «طلاسم» إيليّا أبي ماضي

برزت الحميّة الرساليّة والموهبة الشعريّة الاستثنائيّة للشيخ السماويّ في ردّه المُبدع على قصيدة إيليّا أبي ماضي «الطلاسم»، والمشتهرة بـ «لست أدري»، حيث تسامى خياله، وخصبت قريحته، وصدقت لهجتُه، ودحضَ الشبهةَ بالحجّة، وببراعة التصوير وفيض العاطفة ورهافة الحسّ، إضافة لما يتمتّع به من سعة الاطّلاع. المقطع التّالي يُظهر فلسفة أبي ماضي، ويردّ الشيخ السماويّ بالحقيقة الدينيّة فيما بعد:

جِئْتُ، لا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ، وَلَكِنّي أَتَيْت
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدّامي طَريقاً فَمَشَيْت
وَسَأَبْقى ماشِياً إِنْ شِئْتُ هَذا أَمْ أَبَيْت
كَيْفَ جِئْتُ؟ كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَريقي؟
لَسْتُ أَدْري
وَطَريقي ما طَريقي؟ أَطَويلٌ أَمْ قَصيرْ؟
هَلْ أَنا أَصْعَدُ أَمْ أَهْبِطُ فيهِ وَأَغُورْ؟
أَأَنا السّائِرُ في الدَّرْبِ أَمِ الدَّرْبُ يَسيرْ؟
أَمْ كِلانا واقِفٌ وَالدَّهْرُ يَجْري؟
لَسْتُ أَدْري

**

أَجَديدٌ أَمْ قَديمٌ أَنا في هَذا الوُجُودْ؟
هَلْ أَنا حُرٌّ طَليقٌ أَمْ أَسيرٌ في قُيودْ؟
هَلْ أَنا قائِدُ نَفْسي في حَياتي أَمْ مَقُودْ؟
أَتَمَنّى أَنَّني أَدْري وَلَكِنْ..
لَسْتُ أَدْري «..»

فأجابه السّماويّ بقصيدة هذه فقرات منها:

جِئْتُ لِلْعالَمِ أَتْلو صُحُفَ العالَمِ هَمْسا
جِئْتُ أُمْلي فيهِ دَرْساً، وَهُوَ يُمْليني دَرْسا
أَنا جُزْءُ الكَوْنِ إِنْ لَمْ أَكُ نَفْسَ الكَوْنِ نَفْسا
أَنا أَدْري أَيْنَ مِنْهُ أَنا، لَكِنْ....لَيْسَ يَدْري

جِئْتُ لا أَعْلَمُ، إلّا أَنَّني جِئْتُ لِأَعْلَمْ
فَتَخَطَّيْتُ بِكَوْني ساحَةَ الكَوْنِ المُطَلْسَمْ
حَيْثُ سادَ الصَّمْتُ لَوْلا وَحْيُ عَجْماءَ لأَعْجَمْ
حَيْثُ لا هامِسَ إلّا وَهُوَ مِثْلي.. لَيْسَ يَدْري

**

عِنْدَما كُنْتُ وَلَكِنْ لَسْتُ أَدْري ما العَدَمْ
ماجَ تَيّارُ وُجودي بِوُجودي وَاحْتَدَمْ
فَإِذا لي أَلْفُ لَحْنٍ وَإِذا لي أَلْفُ فَمْ
وَإِذا بي أَتَنَزَّى في خَليطٍ.. لَيْسَ يَدْري

**

فَشُعوري بِوُجودي هُوَ بُرْهانُ الوُجودْ
وَاضْطِراري في حَياتي شاهِدٌ أَنّي مَقودْ
وَكَما جِئْتُ ابتداءً سَوْفَ أَمْضي وأعودْ
فَلِماذا وَهُوَ ذو عَقْلٍ وَحُسْنٍ.. لَيْسَ يَدْري؟!

**

حَسْبِيَ الكَوْنُ دَليلاً كُلَّما عَزَّ الدَّليلْ
وَتَخَطَّيْتُ بِإِمْكاني ضِفافَ المُسْتَحيلْ
إِنَّ لي أَلْفَ سَبيلٍ في وُجودي وَسَبيلْ
قَدْ تَغَشَّيْتُ بِهِ الكَوْنَ إِلى ما.. لَيْسَ يَدْري

**

وقد نشر في الجزء الأوّل من مجلة العروبة الصادرة عام ١٩٤٧ ميلاديّة أجزاء من القصيدة، قُدّم لها بالقول: «والعراق يفخر بأنّ العلّامة السماويّ هو الشاعر الوحيد الذي استطاع معارضة الشاعر إيليّا أبي ماضي، بما هو أسمى شعوراً وأروع شاعريّة في موضوع يشقّ على المعارض الخوض فيه أضعاف ما يشقّ على المعارَض؛ للفرق الجليّ بين الشكّ والإثبات».

وبعث الأستاذ محمّد الخليليّ إلى الشيخ السماويّ رسالةً أدبيّة يذكر فيها إعجابه بمعارضته طلاسمَ أبي ماضي، ويختمها بأربعة أدوار على نسق شعر الطلاسم. ومن هذه الأدوار:

قَدْ تَلَوْنا قُرْآنَكَ وَالشِّعْرَ البَديعْ
وَانْتَشَفْناهُ زُهوراً مِثْلَ أَزْهارِ الرَّبيعْ
وَغَدا فينا الشُّعورُ الحَيُّ في الحَيِّ يُذيعْ
هَذِهِ الحِكْمَة.. هَلْ يَعْقِلُ مَنْ لَيْسَ يَدْري؟

وفي حوار افتراضيّ للشيخ عليّ الكورانيّ في كتابه (الولادات الثلاث) مع مُلحد أعجبته قصيدة إيليّا أبي ماضي «الطلاسم» يقول له: «إذا كان شكّ هذا الشاعر يعجبك، فلماذا لا يعجبك جواب الشاعر الشيخ عبد الحميد السماويّ له، ومنه قوله:

أَفَكَوْنٌ فَوْقَ كَوْنٍ مُتَوازي الحَرَكاتْ
شاسِعُ الأَبْعادِ رَحْبٌ مُتَداني الحَلَقاتْ
مُفْعَمٌ بِالنُّورِ مَغمورٌ بِأَسْرارِ الحَياةْ
صادِرٌ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنْ مُديرٍ.. لَيْسَ يَدْري!

**

أَسْمَعَتْهُ نَبَراتُ الكَوْنِ لُغْزاً أَبَدِيَّا
وَأَرَتْهُ شَرَفَ الغايَةِ فَاجْتازَ المُغَيَّا
فَرَأَى العُدْمَ وُجوداً وَرَأى اللّاشَيْءَ شَيَّا
فَتَراهُ يَسْتَمِدُّ الفَيْضَ مِمَّنْ . . لَيْسَ يَدْري!

**

جاءَ كَيْ يَعْبَثَ بِالعَقْلِ وَيَهْزا بِالدَّليلْ
وَيَرى كُلَّ جَميلٍ ماثِلٍ غَيْرَ جَميلْ
يَتَحَدّى كُلَّ عِلْمٍ وَيُداجي كُلَّ جيلْ
فَتَراهُ كُلَّما اسْتَنْطَقَ شَيْئاً.. لَيْسَ يَدْري!..».

وفاته

انتقل الشيخ عبد الحميد السماويّ إلى رحمة ربّه تعالى في الثالث من رجب سنة ١٣٨٤ للهجرة (تشرين الثاني ١٩٦٤م)، في مستشفى «الشعب» ببغداد، وكان له تشييع مهيب فيها عند مرقد الإمامين الكاظميَن عليهما السلام، ثمّ سار به الموكب إلى كربلاء ليبيتَ جثمانُه إلى صباح اليوم التالي، ويعود منها إلى النجف الأشرف، فكان يوماً مشهوداً، إذ عُطّلت له الأسواق، واستقبلته مواكب العزاء تنعاه، وبعد إتمام مراسيم الصلاة عليه دُفن في وادي الغريّ.

وكانت له قصيدة بعنوان (أيّتها النفس) يرثي بها نفسه، يقول فيها:

لا بَـقا حَـتّى أُمَنّـيكِ البَقا — فَاغْدِقِي جامَكِ فيمَنْ أَغْدَقا
أَيُّها النَّفْسُ وَفيكِ اتَّسَقَتْ — نُـظُمُ العالَـمِ حَـتَّى اتَّسَـقا
ما تَـشائينَ فَقَدْ شاءَ القَضا — لِلْخَليطَـيْنِ بِـأَنْ يَـفْتَرِقـا
هَـلْ تُـرَجّينَ رَبيعاً قـادِمـا — فَلَقَدْ حتَّ الخَـريـفُ الوَرَقـا

مراتبُ التوحيد

السيّد علي خان المدني الشيرازي*

التّوحيدُ لغةً: جَعلُ الشيّء واحداً، أي: الحكم بوحدانيّته والعلم بها، وقد يطلَق، بالاشتراك، على التّفريق بين شيئَين بعد الاتّصال، وعلى الإتيان بالفعل الواحد منفرداً.

واصطلاحاً: إثباتُ ذات الله بوحدانيّته منعوتاً بالتنزّه عمّا يُشابهه ويُشاركه. ووحدانيّته بمعنى أنّه لا ثانيَ له في الوجود، بمعنى أنّه لا كثرةَ فيه مطلقاً؛ لا في عين الذّات لانتفاء التركيب والأجزاء، ولا في مرتبة الذّات لانتفاء زيادة الوجود، ولا بعد مرتبة الذات لانتفاء زيادة الصفات، وقد يُقصد بها معنى أنّه لم يَفته من كماله شيء، بل كلُّ ما ينبغي له فهو له بالذّات والفعل، إذ الواحد قد يقال لِما لم يَفُتْه من كماله شيء، بل كلُّ كمالٍ ينبغي له، فهو حاصلٌ له بالفعل.

والمعنى الأوّل هو المشتمل عليه أوّلُ كلمة نطق بها الدّاعي إلى الله تعالى، وهو قول: «**لا إلهَ إلّا الله**».

صفاتُ المراتب، ونسبةُ بعضها إلى بعض

للتّوحيد مراتبُ أربع:

أوّلها: قولٌ يقال: كتوحيد المنافق والمسلم من خوف السّيف المشهور عليه.

والثّانية: تصديقٌ يُعتقَد كتوحيد عامّة المسلمين.

والثّالثة: يقينٌ يستبصر بواسطته نور الحقّ، فيرى أشياءَ كثيرة، ولكن صدورها على كثرتها من الواحد الفرد، وهو مقام المقرّبين: كأنّهم قرّبوا إلى منتهى المقامات، وبشّروا بطلوع ثنيّات المكاشفات.

الرّابعة: كشفٌ عن مشاهدة الصدّيقين فلا يرى في الوجود إلّا واحداً، وهو الذي تسمّيه الصّوفيّة الفناء في التّوحيد، لأنّه من حيث لا يَرى إلّا واحداً لا يرى نفسه أيضاً، فيفنى بواحده عن كلّ ما سواه، ويفنى عن نفسه أيضاً فلا يراها.

***

فالأوّل: موحّدٌ بمجرّد اللّسان، ويعصم ذلك صاحبه في الدّنيا، ويوفّيه حظَّه منها فلا يُراق له دم، ولا يُباح له حريم، ولا يحرَم من مغنم، ولا يستحرَم منه في منكحٍ ولا مَذبح.

والثّاني: يعصمُه في الآخرة أيضاً من عذابها إذا توفّى على الوفاء بأحكامه، ولم تحلّ المعاصي عقدة إسلامه.

وتزيد **مرتبة الثّالث** عليه بمقام اليقين وسلوك طريقة المجتهدين في التجريد، إذ يراها كلَّها من الواحد، ولكنّه يراها كثيرة نظراً إلى ذواتها.

أعلى مراتب التوحيد رؤيةُ الأشياء بالله، لا رؤيتُه تعالى بالأشياء

ويزيد **الرّابع** على هذا زيادةَ الشّمس على النّجم، والسّماء على الأرض، من حيث لا يرى في شهوده غيرَ الواحد الحقّ، فلا يشاهدُه بالأشياء بل يَشهدُ الأشياء به، كما قال تعالى: ﴿..أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت:٥٣.

ومثال الأوّل: هو القشرة العليا من الجَوز، لا خيرَ فيه البتّة. إنْ أُكِل فهو مُرّ المذاق بعيدٌ عن المساغ، وإن نُظر إليه فهو كريهُ المنظر، وإن استُوقد دخّن البيت، وإن تُرك لوّث المكان، ولكنّه يحفظ القشرة الصّلبة السّفلى التي هي بدن اللّب، فالتّوحيد عن ظاهر اللّسان يحفظ بدنَ المنافق في دنياه، ثمّ يُرمى به فلا يُغني عنه شيئاً في أخراه.

ومثال الثّاني: هو القشرة الصّلبة الأخرى، فإنّه ظاهر النّفع بيِّنُ الجدوى، يصون اللّب عن الفساد ويُربيه إلى وقت الحصاد، وينفصل عنه فينتفَع به في الوقود وغيره، لكنّه نازل القدر زهيد النّفع بالإضافة إلى اللّب، فكذلك الإيمان الظاهر عن مجرّد الاعتقاد من غير إيقانٍ، ناقص الشّرف بالنّسبة إلى حال انشراح الصّدر بالصّدق، وانفساح القلب باليقين.

ومثال الثالث: اللُّب.

ومثال الرابع: الدّهن المستخرج من اللُّب. وهو الصّافي عن مَشوبات اللّب، الخالصُ من الكدورات، الذي يكاد يُضيء ولو لم تَمسَسه نارٌ.

* مختصر عن كتابه (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام)

وصيّة أمير المؤمنين إلى ولده الإمام الحسن المجتبى عليهما السلام

الصبرَ.. الصبرَ حتّى يُنزِلَ اللّه الأمر

إعداد: «شعائر»

وردت هذه الوصيّة في كتابَين مرجعيّين هما: (مجالس أو أمالي) الشيخ المفيد، و(أمالي) الشيخ الطوسيّ، والرواية هنا بلفظ الأوّل، قال: «عن عمر بن محمّد بن علي الصيرفيّ، عن محمّد بن همّام الإسكافيّ، عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن أحمد بن سلامة الغنويّ، عن محمّد بن الحسن العامريّ، عن مَعْمر عن أبي بكر بن عيّاش، عن الفجيع العقيليّ، قال: حدّثني الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السّلام، قال: لمّا حَضَرَت والدي الوفاة أقبل يُوصي، فقال:

هذا ما أَوْصَى بِهِ عَلِيُّ بنُ أَبي طالبٍ أخو محمَّدٍ رسولِ الله، صلّى الله عليه وآله، وابنُ عمّه وصاحِبُه:

أَوَّلُ وَصِيَّتِي أَنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُهُ وَخِيَرَتُهُ، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ وَارْتَضَاهُ لِخيرتِهِ، وأنَّ اللهَ بَاعِثُ مَنْ فِي القُبُورِ، وَسَائِلُ النَّاسِ عَنْ أَعْمَالِهِم، عَالِمٌ بِمَا فِي الصُّدُورِ.

ثُمَّ إِنِّي أُوصِيكَ يَا حَسَنُ - وكَفَى بِكَ وَصِيّاً - بِمَا أَوْصَانِي بِهِ رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَإِذا كَانَ ذَلِكَ يَا بُنَيَّ الْزَمْ بَيْتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَلَا تَكُنِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّكَ.

وَأُوصِيكَ يَا بُنَيَّ بِالصَّلاةِ عِنْدَ وَقْتِهَا، والزَّكَاةِ فِي أَهْلِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا، والصَّمْتِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، والاقْتِصادِ وَالعَدْلِ فِي الرِّضَى وَالغَضَبِ، وَحُسْنِ الجِوارِ، وإِكْرَامِ الضَّيْفِ، وَرَحْمَةِ المَجْهُودِ وَأَصْحَابِ البَلَاءِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُبِّ المَسَاكِينِ ومُجَالَسَتِهِم، والتَّواضُعِ فَإِنَّهُ مِن أَفْضَلِ العِبَادَةِ، وقَصِّرِ الأَمَلَ، واذْكُرِ المَوْتَ، وازْهَدْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَهِينُ مَوْتٍ وَغَرَضُ بَلَاءٍ وَطَرِيحُ سُقْمٍ.

وَأُوصِيكَ بِخَشْيَةِ اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعَلانِيَتِكَ، وَأَنْهاكَ عَنِ التَّسَرُّعِ بِالقَوْلِ والفِعْلِ، وإِذَا عَرَضَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الآخِرَةِ فابْدَأْ بِهِ، وإذا عَرَضَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَتَأَنَّهُ حَتَّى تُصِيبَ رُشْدَكَ فِيه.

وَإِيَّاكَ وَمَوَاطِنَ التُّهَمَةِ والمَجْلِسَ المَظْنُونَ بِهِ السُّوءُ، فإنَّ قَرِينَ السُّوءِ يَغُرُّ جَلِيسَهُ. وَكُنْ للهِ يَا بُنَيَّ عَامِلاً، وَعَنِ الخَنَى زَجُوراً، وبالمَعْروفِ آمِراً، وعَنِ المُنْكَرِ نَاهِياً. وَوَاخِ الإِخْوانَ فِي الله، وأَحِبَّ الصَّالِحَ لِصَلَاحِهِ، ودَارِ الفَاسِقَ عَنْ دِينِكَ وابغضْهُ بِقَلْبِكَ، وزَايِلْهُ بِأَعْمَالِكَ لِئَلَّا تَكون مثلَه، وإِيَّاكَ والجُلُوسَ في الطُّرُقَاتِ، وَدَعِ المُماراةَ وَمُجاراةَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا عِلْمَ.

واقْتَصِدْ يَا بُنَيَّ فِي مَعِيشَتِكَ، وَاقْتَصِدْ فِي عِبَادَتِكَ، وَعَلَيْكَ فِيهَا بِالأَمْرِ الدَّائِمِ الَّذِي تُطِيقُهُ، وَالْزَمِ الصَّمْتَ تَسْلَمْ، وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ تَغْنَمْ، وَتَعَلَّمِ الخَيْرَ تَعْلَمْ، وكُنْ للهِ ذَاكِراً عَلَى كُلِّ حَالٍ، وارْحَمْ مِنْ أَهْلِكَ الصَّغِيرَ، وَوَقِّرْ مِنْهُمُ الكَبِيرَ.

> **قَصِّرِ الأَمَلَ، واذْكُرِ المَوْتَ، وازْهَدْ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّكَ رَهِينُ مَوْتٍ، وَغَرَضُ بَلَاءٍ، وَطَرِيحُ سُقْمٍ**

وَلَا تَأْكُلَنَّ طَعَاماً حتَّى تَصَدَّقَ مِنْهُ قَبْلَ أَكْلِهِ، وَعَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ زَكَاةُ البَدَنِ وَجُنَّةٌ لِأَهْلِهِ. وَجَاهِدْ نَفْسَكَ، واحْذَرْ جَلِيسَكَ، واجْتَنِبْ عَدُوَّكَ، وَعَلَيْكَ بِمَجالِسِ الذِّكْرِ، وأَكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنِّي لَمْ آلُكَ يَا بُنَيَّ نُصْحاً، وهَذَا فِراقٌ بَيْنِي وَبَيْنَك.

وَأُوصِيكَ بِأَخِيكَ مُحَمَّدٍ خيراً، فَإِنَّهُ شَقِيقُكَ وابْنُ أَبِيكَ وَقَد تَعْلَمُ حُبِّي لَهُ، وأَمَّا أَخُوكَ الحُسَينُ فهُوَ ابْنُ أُمِّكَ، ولا أُرِيدُ (وَلا أَزِيدُ) الوِصايَةَ بِذَلِكَ، وَاللهُ الخَلِيفَةُ عَلَيْكُمْ، وإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يُصْلِحَكُمْ، وأَنْ يَكُفَّ الطُّغَاةَ البُغَاةَ عَنْكُمْ، وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ حَتَّى يُنْزِلَ اللهُ الأَمْرَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيم».

من كتابٍ له عليه السّلام إلى الحارث الهمدانيّ:

احْذَرِ الغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظيمٌ مِنْ جُنودِ إِبْليسَ

إعداد: «شعائر»

وردت هذه الوصيّة في (نهج البلاغة) ضمن كتابٍ أرسله أمير المؤمنين، عليه السّلام، إلى أحد أصحابه وهو الحارث الهمدانيّ. وفيه يعظُه ويوجّهه إلى التمسّك بكتاب الله واجتناب المكاره والعمل بصراط العدل.

«وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ.

وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِباً. وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا. وَاكْظِمِ الْغَيْظَ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ، أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ. وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ [أي: يضعفُ رأيُه] وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ. اسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ، وَقِلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ.

وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ. وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ. وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ. وَأَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

> .. وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا. وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ، وَالسَّلَامُ».

هذا طريق الأنبياء والأولياء عليهم السلام

من كلمة والد الشهيد محمد جوني في تشييع ولده

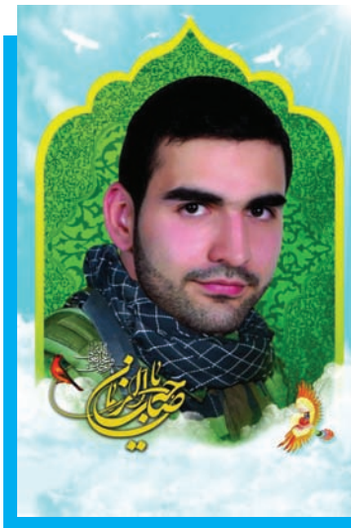

* الشهيد الدكتور
محمّد حسين جوني (منتصر)
استُشهد في ٥ حزيران ٢٠١٥ أثناء
قيامه بواجبه الجهاديّ المقدّس في
التصدّي لمرتزقة الكفر والوهّابيّة

والد الشهيد أثناء القاء كلمته

ما يلي، أبرز ما ورد في الكلمة التي ألقاها الحاج حسين جوني، والد الشهيد محمّد جوني أثناء تشييع ولده في بلدة العباسية العاملية، مطلع شهر حزيران الفائت:

«الله هو المعطي، الله هو الذي ينزّل هذا الرّزق الكبير، وهذه العظَمة الكبيرة، هو المعطي. الحمد لله على هذه النّعمة العظيمة التي تصدّقَ بها علينا، نحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النّعمة، على هذه العظَمة، على هذا الوسام الكبير.

أيّها الإخوة الأعزّاء، هذا الطّريق الذي اخترناه ونسير عليه، لم يفرض علينا أحد أن نسلكه. منذ البداية كنّا نعلم أنّ هذا الطّريق هو طريق الأنبياء، هو طريق الصّلحاء، هو طريق الأئمّة، هو طريق الشّهداء، منذ آدم عليه السّلام، إلى يوسف وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين. هذا الطّريق، كنّا نعلم أنّه طريق ذات الشّوكة، وأنّه لا بدّ من ثمنٍ يُدفَع في هذا الطّريق، الّذي هو طريق الأنبياء كما قلت. لذا لم يفرضه علينا أحد، نحن اخترناه بأنفسنا، نحن ارتضينا هذا الطّريق منذ البداية، اخترناه بملء إرادتنا، نعم أيّها الإخوة، وكنّا نعلم هذه الخاتمة، ولم يكن الأمر مفاجئاً لنا... أيّها الإخوة الأعزّاء، ونحن في محفل الشّهيد محمّد، أقول: يا الله، يا ربّ... يا رب هذه أحسن زهرة عندي... فداك يا رب، فداك يا حسين، فداك يا أبا عبدالله.

يا أبا عبد الله، يا سيّدتي ومولاتي يا زهراء، يا سيّدتي يا مولاتي يا زينب، يا أبا عبد الله، هذا نداؤك: «**ألا هل من ناصرٍ ينصرني؟**» يُلبّى الآن، منذ أكثر من ألف سنة، لبّيك يا أبا عبد الله.

أيّها الإخوة الأعزّاء، قد يقول قائل... أنّ هؤلاء ليس لهم قلوب، لا يوجد لديهم قلب أو عاطفة، يقدّمون أولادهم شهداء، يقدّمون أولادهم قتلى على المذبح، هؤلاء لا يعلمون؛ نحن والشّهداء كلّنا عاطفة، مجبولون بالعاطفة، بالعكس نحن نبكي لأنّ قلبنا كلّه عاطفة وحنان، بل مشحون بالعاطفة، أصلاً هذا القلب هو قلب رقيق، وأصلاً العلاقة مع الله هي علاقة عشق، العلاقة مع الله سبحانه وتعالى حبّ، وهذا الحبّ موجود في قلوب جميع أتباع الإمام الحسين، كلّ هؤلاء الشّهداء وأهل الشّهداء وهؤلاء المجاهدين، قلوبهم رقيقة جداً، مشحونة بالعاطفة. لكن صحيح أنّنا نفقد، ونبكي، وتنزل دمعتنا، هذا أمر صحيح، نحن بشر، نحس ونشعر، لكن أمام العشق الإلهي وأمام الحبّ الإلهي، أمام هذا العشق يهون كلّ شيء. هذا عزاؤنا الوحيد.

بارك الله بكم، بارك الله بهذا الجمع الطيّب، الّذي يؤكّد أنّ هذه المقاومة محتَضَنة من خلال هؤلاء النّاس الطّيّبين الطّاهرين الّذين يقفون إلى جانب الشّهداء، ماذا يعني هذا وماذا يفسّر؟ يعني النّصر، يعني أنّ الإمام الحسين، وأنّ حفيد الحسين سماحة السيّد حسن حفظه الله، أنّه لن يكون وحيداً، وأنّ الحسين وحفيد الحسين ونهج الإمام الخميني، الذي – أيّها الإخوة عليكم أن تعلموا أنّ الشّهيد محمّد كان له علاقة خاصّة جدّاً بالإمام الخميني قدس سره – أنّ هذا النّهج، النّهج المحمّديّ الأصيل، سوف ينتصر..».

العمليّات الفرديّة

طلائع الثورة المتجدّدة ضدّ الصهاينة

معين الطاهر*

ثمّة نمط جديد من العمليات في فلسطين، يثير قلقاً متزايداً لدى أجهزة الأمن الصهيونية، هي ما أُطلق عليها اسم العمليات الفردية، مثل التي حدثت في القدس، في الأسبوع الأول من شهر رمضان الجاري، حين طعن ناصر ياسين طوره ضابطاً صهيونياً، وأصاب زميله بجراح، وما سبقها من عمليات متعدّدة، تراوحت ما بين طعن بسكين، أو مداهمة لتجمّعات الجنود على الطرقات بسيارة عابرة.

في هذه العمليات، تمّ استبدال السيارة المتفجرة بسيارة داهسة، والحزام الناسف بسكّين. وسط عدم امتلاك العدو أي وسيلة تمكّنه من اكتشاف العمل قبل وقوعه، أو مكافحته بضربة استباقية، أو اختراق الجهة المنفّذة، أو الاستفادة من مزايا التنسيق الأمني في ملاحقة الخلايا النائمة، إذ تقف استخبارات العدو عاجزة عن القيام بأيّ فعل مسبق، لا يوجد سلاح يتمّ نقله ليتمّ اعتراضه، فالسكاكين متاح شراؤها من أيّ مكان، ويستحيل معرفة السيارة التي قد تتحوّل من وسيلة نقل إلى سلاح فتّاك في لحظات. لا يوجد تنظيم يتمّ اختراقه، ولا تعليمات يتمّ إرسالها، فتكتشف على الطريق، ولا تمويل تجفّف منابعه، أو تتسنّى مراقبته.

هي مجرّد فكرة نمت في ذهن صاحبها، من دون رقيب أو حسيب، لم يستشر بها أحداً سوى ضميره، ترعرعت من صُلب معاناته وشعبه من ممارسات الاحتلال، علَتْ فيها مشاعر الكرامة الوطنية على واقع الذلّ والمهانة. واستعان بالآية القرآنية الكريمة: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ..﴾ (النساء:٨٤)، وترسّخت لديه قناعة وسط عجز الفصائل، وانغماس بعضهم في لعبة الاحتلال، بأنّ من رأى منكم احتلالاً فليغيّره بيده. ليسجّل فشلاً مزدوجاً لأجهزة الاحتلال ومنظومة التنسيق الأمني في ملاحقة هذه الظاهرة، أو القضاء عليها.

تؤدّي مثل هذه العمليات دور الصاعق المفجّر، والمتمرّد على ركود الأوضاع واستمرار حالة الإذعان لبقاء الاحتلال. ولعلّ هؤلاء الأبطال بمثابة الطليعة الثورية المقاتلة التي تشكّلت بانتظار إعادة تنظيم الصفوف الفلسطينية والعربية، معلنةً، وبصوت عالٍ، أنّ المقاومة ضدّ الكيان الصهيوني لم ولن تنتهي. قد تختلف أشكالها، وتتنوع وسائلها، ويتغيّر حملَة بيارقها، لكنّ روحها المستقرّة في جسد الأمّة تبقى واحدة.

(مختصر)

* باحث من فلسطين، والمقال نقلاً عن الموقع الإلكتروني «العربي الجديد»

عملية الدهس التي نفذها ابراهيم عكاري في القدس في شهر نوفمبر ٢٠١٤

حالة الإحباط التي يعيشها المواطن الفلسطيني من قدرة الفصائل الفلسطينية على الفعل في مواجهة الاحتلال، هي أحد الأسباب التي تدفعه لمواجهه جبروت الاحتلال منفرداً

الإمام الخامنئي يقدّم نسخة من ديوان حافظ الشيرازي
إلى مكتبة العتبة الرضوية المقدّسة

إعداد: «شعائر»

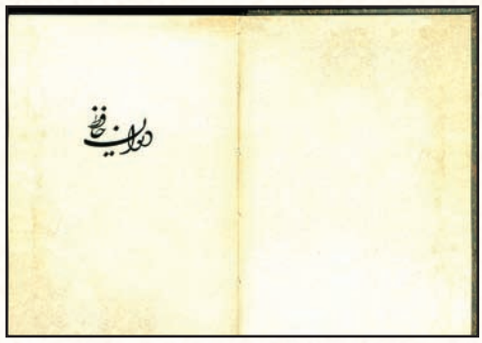

الصور المعروضة هنا هي لصفحات من نسخة خطية من ديوان الشاعر الفارسي شمس الدين محمّد حافظ الشيرازي (ت: ٧٩٢ للهجرة) قدّمها الإمام الخامنئي دام ظلّه إلى مكتبة العتبة الرضويّة المقدّسة.

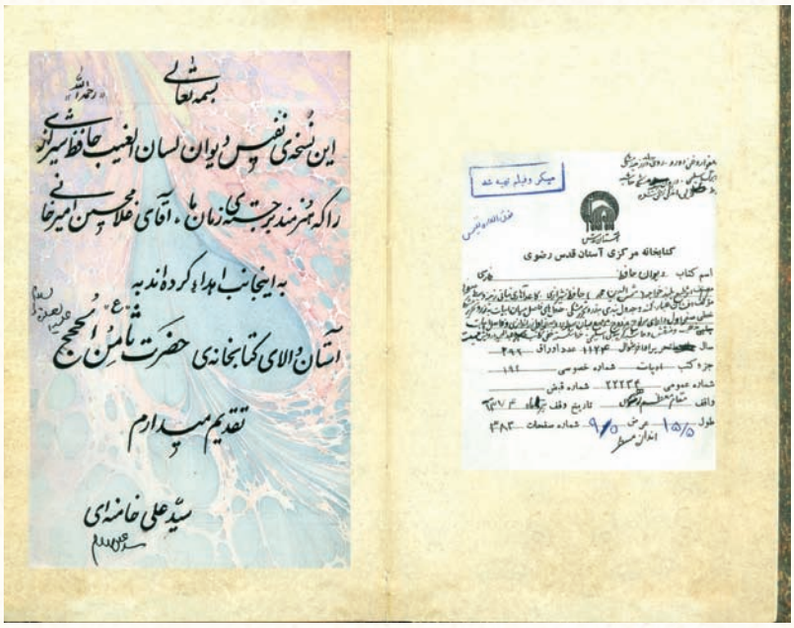

نص الإهداء (الوقف) الذي كتبه الإمام الخامنئي

هذه النسخة بخطّ النّاسخ عبد المجيد الطالقاني (١١٥٠- ١١٨٥ للهجرة)، أهداها الفنان الإيراني غلام حسين أمير خاني للإمام الخامنئي دام ظلّه، وتشرّف سماحته بتقديمها إلى مكتبة العتبة الرضويّة المقدّسة.

وكتب سماحته في هذا الإهداء (الوقف):

أُقدّم هذه النسخة القيّمة من ديوان لسان الغيب الحافظ الشيرازي رحمه الله - والتي أهداها إليّ الفنان المبرّز في أيّامنا هذه، السيّد غلام حسين أمير خاني - إلى مكتبة العتبة الرفيعة لمولانا ثامن الحُجج عليه الصلاة والسلام.

سيّد علي خامنه اي

البيانات الوصفية للمخطوطة

الصفحتان الأولى والثانية من قصائد ديوان حافظ الشيرازي

دوائر ثقافية

موقف	العزم على التوبة، بداية العودة	الملكي التبريزي قدس سره
فرائد	تسبيح الزهراء عليها السلام سُنّة مؤكّدة	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	(أنوار الملكوت في شرح الياقوت) للعلامة الحلّي	قراءة: محمود إبراهيم
بصائر	من سيرة الإمام الصادق عليه السلام	إعداد: «شعائر»
مصطلحات	الوصيّ والوصيّة	السيد مرتضى العسكري رحمه الله
مصطلحات	البِرّ	الشيخ مكارم الشيرازي
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

موقف

العَزمُ على التّوبة، بدايةُ العودة

آية الله الشيخ ميرزا ملكي التبريزيّ* قدس سره

لا بدّ من مداومة التوبة على كلّ حال. والتوبة التي تجب على الجميع هي التي بيّنها أمير المؤمنين عليه السّلام في معنى الاستغفار بستّة أشياء:

الأوّل: النّدم، وهو علاجٌ لكثيرٍ من الأشياء، لا سيّما أنّه عوضٌ وبدلٌ عن الندم عند الموت وبعد الموت.

الثّاني: العزم على عدم العودة أبداً.

الثّالث: أداء حقوق المخلوقين.

الرّابع: أداء حقوق الفرائض التي تركها.

الخامس: يُذيب اللّحم الذي نبت من الحرام بالندم والحسرة وألم الرياضات إلى أن يلتصقَ الجلد بالعَظم، وبعد ذلك ينبت لحمٌ جديدٌ من الحلال.

السادس: أن يُذيق نفسَه ألمَ الطاعة ومشقّة العبادة بمقدار حلاوة المعصية.

وتفصيل ذلك: إذا ظهرت المعرفة الواقعيّة للإنسان وعرف حقيقة الذنب وقبحَه وآثاره، فلا بدّ أن يحصل له - قهراً - من الندم بمقدار الشّقاء والعذاب الذي جلبَه على نفسه، وعليه أن يتحرّك باتّجاه رفع ذلك، وبالخصوص عندما يقطع بما سوف يحصل له من لذّة كبيرة، وشرف عظيم حينما يُخمِد تلك النار التي اشتعلتْ في نفسه وفي داخله. كما يبرز عنده شوق في ذلك الوقت بمقدار معرفته لإخماد تلك النار، وسوف يتحمّل كلّ عمل شاقّ لأجل إخمادها، ويؤدّيه بشَوق تامّ.

وإن قلت: أيّة لذّة وكرامة في التوبة، غير علاج المعصية؟

قلنا: ألم تعلم بأنّ الله مبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات؟ ألم ترَ في القرآن المجيد البشارة والكرامة العظمى في ﴿..إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ..﴾؟

أم أنّك لم تدرك مقام ومعنى محبّة الله عزّ وجلّ؟

إنّ أهل الحقّ يقولون - والعهدة عليهم - إنّ محبّة الله، عزّ وجلّ، لعَبده تعني أنّه يكشف الحُجب له، فيوفّقه إلى جواره وقربه ولقائه.

والخلاصة: أنّه لو حصلت هذه المُقدّمات الوقائيّة للتائب، فبالطّبع سوف يكون مُستعدّاً من أعماق وجوده للعلاج،

> **محبّة الله، عزّ وجلّ، لعَبده تعني أنّه يكشفُ الحُجُبَ له، فيوفّقه إلى جواره وقُربه ولقائه**

وسوف تقول كلّ ذرّة من وجوده بكامل مراتب وصور التضرّع والابتهال إلى الله تعالى ذي الجلال: (**أَتُوبُ إِلَى اللهِ**). كما أنّ جميع تلك المراتب الأخرى سوف تتمّ على أكمل الوجوه بالضّرورة.

فانظر مثلاً وبشكلٍ عامّ الموارد التي [بيّنَتها] الحقيقة العرفائيّة لقبح المعصية؛ فإلى أيّ الحالات وجّهت أصحابها؟ فمثلاً تذكّر قصّة النّبّاش [نبّاش القبور الذي جاء إلى رسول الله، صلّى الله عليه وآله، آيساً من أن يغفر الله ذنوبه، فلبس مسحاً وغلّ يديه إلى عنقه وبقيَ على ذلك هائماً مُستغفراً أربعين يوماً وليلة، إلى أن جاءته البشرى بالمغفرة]، هل علّمه أحد وقال له افعل هكذا؟

أم أنّه حصلت تلك المعرفة له من نفسه نتيجةَ عظيم جنايته، وقد حرّكته هذه المعرفة إلى هذه المواقع والأفعال؟

نعم! هل رأى أحدٌ مَن يُعلّم الثّكلى النياحة؟ أم أنّ طُرق النّياحة تُتعلّم من الثكلى؟

---

* من كتابه (السَّير إلى الله تعالى)

فرائد

الصّحابيّ

الشّهيد حُجر بن عَدِيّ

«قال ابن قُتَيْبَة: حُجر بن عَديّ، رضوان الله، تعالى عليه، يُكنَّى أبا عبد الرّحمن. وكان وفد إلى النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، وشهدَ القادسيّة، وشهد الجمل وصفّين مع عليٍّ، فقتله معاوية بمرج عذراء مع عدّة، وكان له ابنان يتشيّعان يُقال لهما عبد الله وعبد الرّحمن، قتلهما مصعب بن الزّبير صبراً، وقُتل حجر سنة (٥٣) ثلاث وخمسين. انتهى».

(الشيخ عبّاس القمّيّ، الكنى والألقاب)

عبادةُ رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه وآله

«قيلَ لعليّ بن الحسين عليهما السّلام، وهو أعبدُ العبّاد: كيف عبادتُك من عبادة عليٍّ عليه السّلام؟ فقال: **عِبادَتِي مِنْهُ، كَعِبَادَتِهِ، عَلَيْهِ السَّلَام، مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**».

(الشّيخ كاشف الغطاء، كشف الغطاء عن مبهمات الشّريعة الغرّاء)

تسبيح الزّهراء عليها السلام مستَحبٌّ في النوافل

«تسبيح الزّهراء عليها السّلام في أعقاب الصّلوات المفترضات سُنَّةٌ مُؤَكَّدة، وهو في أعقاب النّوافل مستَحبّ».

(الشّيخ المفيد، المقنعة)

الرّزق، وقصّ الأظافر، والشّارب

«من الموثّقات: عُقْبَةَ بن خالد، قَالَ: أَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ الْحَسَنِ، فَقُلْتُ: عَلِّمْنِي دُعَاءً فِي الرِّزْقِ، فَقَالَ: قُلِ: (اللَّهُمَّ تَوَلَّ أَمْرِي، ولَا تُوَلِّ أَمْرِي غَيْرَكَ). فَعَرَضْتُه عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عليه السَّلام، فَقَالَ: **أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ مِنْ هَذَا فِي الرِّزْقِ، تَقُصُّ أَظفارَكَ وشَارِبَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ، ولَوْ بِحَكِّهَا**».

(الشّيخ البهائيّ العامليّ، الحبل المتين)

ضعف سند الصّلاة المستحبّة لا يقدح

«ومن المندوب (في الصّلاة): ما ليس مُؤَقّتاً، وهو كثير، كصلاة الشّكر، وصلاة الحاجة، وصلاة التّوبة، وهي مذكورة في كتب العبادات، ومستندُها النّقل، ولو ضَعُف لم يقدح لِما يعضدُه من كون الصّلاة أفضل عبادات الإنسان».

(العلّامة الحلّيّ، المعتبَر)

الدّلفين

«الدّلفين: دابّة بحريّة كبيرة، قال الصّادق عليه السّلام في (توحيد المُفضّل): الدّلفين يلتمسُ صيدَ الطّير، فيكون حيلتُه في ذلك أن يأخذَ السّمك فيقتله ويشرّحه حتّى يطفو على الماء، ثمّ يكمن تحته ويثور الماء الّذي عليه حتّى لا يتبيّن شخصه، فإذا وقع الطّير على السّمك الطّافي وثبَ إليه فاصطاده. فانظر إلى هذه الحيلة كيف جُعِلَت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة».

(النّمازي الشاهروديّ، مستدرك سفينة البحار)

(أنوار الملكوت في شرح الياقوت) للعلّامة الحلّيّ

مطارحات نادرة في علم الكلام الإلهيّ

قراءة: محمود إبراهيم

الكتاب: أنوار الملكوت في شرح الياقوت

المؤلّف: العلّامة الحلّيّ، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر الأسديّ (٦٤٨ - ٧٢٦ للهجرة)

تحقيق: علي أكبر ضيائي

يُعدُّ كتاب (أنوار الملكوت في شرح الياقوت) للعلّامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهّر الحلّيّ، أحد أبرز العناوين التي شهدتها إبداعات المدرسة الإماميّة في خلال القرن السابع الهجريّ. وإذا كانت هذه هي منزلة الكتاب، فمنزلة مؤلّفه كواحدٍ من أبرز فقهاء ومتكلّمي الشيعة في عصره، تفترض للحديث عنها منفسحاً معرفيّاً مخصوصاً. ذلك بأنّ المكانة التي تبوّأها في المعارف الإلهيّة وعلوم الفقه والأصول والمنطق والفلسفة جعلته مرجعاً مُؤسّساً لتلك المعارف والعلوم من دون منازع. إلى هذا فقد كانت له مزاياه المفردة في المنهج الذي كان يقارب فيه قضاياه. ففي علم الفقه كان منهجه معتمداً على أسلوب التتبّع والاستقراء والمقارنة. وفي الفلسفة اعتمد المنهج العقليّ الصارم على قاعدة فهم الأشياء كما هي في الواقع، مُعتمداً على الأدلّة والبراهين العقليّة. أمّا في علم المنطق، فقد فعل الشيء نفسه حيث كان منطقيّاً في مقاربة علم المنطق، وهو الأمر الذي مكّنه من اجتياز أكثر المسائل استعصاءً على الفهم والإدراك.

كتب العلّامة الحلّيّ ما يصعب حصره من المؤلّفات. غير أنّ ما وصل إلينا منها، وهو المُتداول في المكتبة الإسلاميّة، يقارب الخمسين سِفْرَاً بين كتاب ورسالة. لكنّ أكثر ما عرفه جمهور القرّاء منها، هو حصراً ما يتعلّق بالفقه وعلوم أصول الدين. أما ما اتّصل بعلم الكلام والفلسفة فغالباً ما اقتصرت معرفته على نُخب محدودة من كبار العلماء، وخصوصاً ممّن كان لهم بالعلّامة روابط تلمذة أو صداقة.

مردّ الاهتمام بعلوم الفقه والأصول في المدرسة الإماميّة لم يكن من قبيل إهمال علوم إنسانيّة كعلوم الحكمة والفلسفة والعرفان، بقدر ما يدلّ على تقدير الأولويّات. وهذا أمر تشهد عليه مؤلّفات أكابر العلماء المؤسّسين لمعارف الإماميّة، كالطوسيّ والمفيد والمجلسيّ والكلينيّ وابن طاووس وسواهم، إلى أمثالهم من العلماء والفقهاء العارفين المتأخّرين على امتداد القرون الهجريّة المتعاقبة. وهي مؤلّفات ركّزت على العقائد والفقه في مواجهة أزمنة شهدت الإعراض عن مكارم الأخلاق وثقافة الوحي على امتداد العصرين الأمويّ والعبّاسيّ.

أنوار الشرح

تجدر الإشارة، إلى السِّمَة التخصصيّة لهذا العمل الذي أشرقت فيه شمس المعرفة على قلب العلّامة الحلّيّ في ميدان الكلام والإلهيّات. و(أنوار الملكوت في شرح الياقوت)، هو في الواقع شرح لكتاب (الياقوت في علم الكلام) لأبي إسحاق إبراهيم بن نوبخت. وهذا الكتاب على ما نعلم من أقدم الكتب الكلاميّة في خزائن المدرسة الإماميّة، وقد طبع سنة ١٤١٣ للهجرة في قمّ المقدّسة، كما طبع فيما بعد كتاب (إشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت) - وهو شرح كتاب أنوار الملكوت - أيضاً سنة ١٤٢٣ للهجرة.

وحسب السيّد عميد الدين ابن أخت العلّامة وشارح (أنوار الملكوت)، فإنّ هناك شروحاً أُخَرَ كتبت على كتاب (أنوار الملكوت) ولم تصل إلينا، إلّا أنّه استفاد منها في شرحه كتابَ (أنوار الملكوت) الذي وضعه تحت عنوان (إشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت). ونفهم من بعض عباراته أنّ كتاب (أنوار الملكوت) كان متداولاً بين أيدي طلّاب العلم آنذاك، وكان يُدرّس في حوزات الشيعة الإماميّة؛ كان عميد الدين يقول: قال

الشارح، دام ظلّه، يعني خاله العلّامة.

قال السيّد عميد الدين في شرحه لكتاب (أنوار الملكوت): «أمّا بعد، فإنّ جماعة من إخوان الصفا وأرباب التقى والوفاء الذين نهلوا من الفضائل العلميّة بالقدح المعلّى... لمّا طالعوا كتاب (أنوار الملكوت في شرح الياقوت في علم الكلام) للإمام العلّامة... أبي منصور الحسن بن المطهّر أدام الله فضائله... وجدوه قد اشتمل على جمل من المباحث الدقيقة، والنكت العميقة، والسؤالات الحسنة اللطيفة، والأجوبة المُتقنة الشريفة، زيادةً على شرح ما اشتمل عليه الكتاب المذكور، وبيان ما هو فيه مسطور، لأنّه قد مال في عبارته إلى طريق الإيجاز والاختصار، وعدّل في ألفاظه إلى نهج المبالغة في الحذف والإضمار، بحيث صار فهم تلك المباحث من تلك العبارة مُتعذّراً، والعلم بتلك النكات من تلك الألفاظ مُتعسّراً، سألوا مني أن أشرح ما اشتمل عليه من المباحث والنكات..».

لا ريب في أن القارئ سوف يفهم من هذه العبارات أنّ كتاب (أنوار الملكوت) كان متداولاً بين الخواصّ والعوامّ في عصر العلّامة، لأنّ السيّد عميد الدين شرحه في حياة خاله العلّامة.

نصّ مرجعيّ

ويتّضح لنا ممّا هو مُتداول في كتب القدماء مدى أهميّة ما سطّره العلّامة الحلّيّ في ميدان الحكم وعلم الكلام وسائر علوم وفنون الثقافة الإماميّة في عصره. ولعلّ هذا الكتاب (أنوار الملكوت) الذي بين أيدينا كان الأكثر حضوراً واهتماماً من أكابر المُتكلّمين والفُقهاء المسلمين. ذلك لأنّه تناول أبرز إشكاليّات علم الكلام التي تضمّنها كتاب الياقوت للنوبختيّ. وهو ما صرّح به العلّامة الحلّيّ حين قدَّم تعليقاته عليه.

يقول العلّامة: «وقد صنَّف شيخُنا الأقدم وأستاذنا الأعظم أبو إسحاق إبراهيم بن نوبخت، قدّس الله روحه الزكيّة ونفسه العليّة، مختصراً سمّاه الياقوت، وقد احتوى من المسائل على أشرفها وأعلاها، ومن المباحث على أجلّها وأسناها، إلّا أنّه صغير الحجم، كثير العلم مستصعَبٌ على الفهم، في غاية الإيجاز والاختصار بحيث يعجز عن علمه أولو الأنظار، فأحببنا أن نصنع هذا الكتاب». وبما أنّ أبا إسحاق ذَكَرَ الآراءَ والأقوالَ دون أن يشير إلى قائليها، رفع العلّامة هذا النقص وعيّن قائليها.

(أنوار الملكوت) كان الأكثر حضوراً من بين مصنّفات أكابر المُتكلّمين، فهو تناول أبرز إشكاليّات علم الكلام التي تضمّنها كتاب (الياقوت) للنوبختيّ

خمسة عشر مقصداً كلاميّاً

يتضمّن (شرح الياقوت) وهو الكتاب الذي بين أيدينا، نحواً من خمس عشرة مطارحة جامعة بين الكلام والفلسفة، فضلاً عن المقاربات الفقهيّة المستندة إلى القرآن الكريم، والحديث الشريف، والروايات المنقولة عن أهل بيت العصمة الأطهار عليهم السلام.

أمّا هذه المطارحات فجاء ترتيبها، حسب المؤلّف، في إطار خمسة عشر مقصداً على النحو التالي:

المقصد الأوّل: في النظر وما يتّصل به.

المقصد الثاني: في تعريف الجوهر والعَرَض والجسم.

المقصد الثالث: في أحكام الجواهر والأعراض.

المقصد الرابع: في الموجودات.

المقصد الخامس: في إثبات الصانع وتوحيده وأحكام صفاته.

المقصد السادس: في استناد صفاته إلى وجوبه تعالى.

المقصد السابع: في العدل.

المقصد الثامن: في الآلام والأمراض.

المقصد التاسع: في أفعال القلوب ونظائرها.

المقصد العاشر: في التكليف.

المقصد الحادي عشر: في الألطاف.

المقصد الثاني عشر: في اعتراضات الخصوم في التوحيد والعدل والجواب عنها.

المقصد الثالث عشر: في الوعد والوعيد.

المقصد الرابع عشر: في النبوّات.

المقصد الخامس عشر: في الإمامة.

مهما يكن من شيء، فإنّ هذه المقاصد، وإنْ كانت أخذت مداها في مساجلات المتكلّمين المسلمين الأوائل ومجادلاتهم، فهي تكتسبُ خصوصيّتها لدى العلّامة الحلّيّ. ذلك بأنّها تأتي في سياق منظومته المعرفيّة الشاملة حيث تتكامل علومُ العقيدة مع العلوم العقليّة والمنطقيّة، فضلاً عن المعارف المتّصلة بالسير والسلوك.

سيرةُ الإمام الصادق عليه السلام في أخبار العلماء والرواة

بالوَحي واجهَ الانحراف على الوحي

إعداد: «شعائر»

أجمع أئمّة المسلمين وفقهاؤهم على المكانة السامية للإمام جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، فهو كما يقول ابن خلّكان: «كان من سادات أهل البيت، ولُقّب بالصادق، لصدقه في مقالته، وفضلُه أشهَر من أن يُذْكَر».

في ما يلي مقتبسات من أنوار سيرته الشريفة كما وردت على لسان أكابر العلماء، نقلاً عن (موسوعة طبقات الفقهاء).

كانت ولادة الإمام جعفر الصادق عليه السلام بالمدينة المنوّرة في السّابع عشر من ربيع الأوّل، وقيل غير ذلك، سنة ثمانين للهجرة، وقيل ثلاث وثمانين. وقد عاش الإمام عليه السلام شطراً من حياته في العصر الأُمويّ، وكان يتحيّن الفرص المؤاتية لأداء رسالته، ونشر علومه، بعد أن حرص الأُمويّون وبكلّ الوسائل على طمس آثار أهل البيت وفِقههم، حتّى إذا وجدَ الدولة الأُمويّة ينتابها الضعف، وتسير نحو الانهيار، نهض عليه السّلام بكلّ إمكانياته، لنشر أحاديث جدّه صلّى الله عليه وآله، وعلوم آبائه، فتوافد عليه العلماء وطلّاب العلم حتّى بلغت الجامعة، التي أسّسها قبله أبوه الباقر عليه السلام، في عصره أوج نشاطها وازدهارها؛ ولقد أحصى أصحاب الحديث أسماءَ الرواة عنه فكانوا أكثر من أربعة آلاف رجل، وأدرك منهم الحسنُ بن عليّ الوشّاء (وكان من أصحاب الرضا عليه السّلام) تسعمائةَ شيخ.

فممّن روى عنه: أبان بن تغلب، ومعاوية بن عمّار الدهنيّ، والسّفيانان، والحسن بن صالح بن حيّ، وعبد العزيز الدراورديّ، ويحيى القطّان، ومسلم الزّنجيّ، وشعبة بن الحجّاج، وحفص بن غياث.

ولم يكن نشاط الإمام عليه السلام مقصوراً على تدريس الفقه الإسلاميّ، وأدلّة التشريع، بعد أن اتّسم ذلك العصر بظهور الحركات الفكريّة، ووفود الآراء الاعتقاديّة الغريبة، ودخول الفلسفة المتأثّرة بالفكر الهنديّ واليونانيّ، بل نجد الإمام عليه السّلام قد تحدّث في التوحيد وأركانه، والعدل، والقدَر، وإرادة الإنسان، وغير ذلك، وتحدّث أيضاً في طبائع الأشياء، وخواصّ المعادن، وفي سائر الكَونيّات.

معلّم العلماء

قال الشيخ محمّد أبو زهرة: «وكان يتّخذ من ذلك ذريعةً لمعرفة الله تعالى، وإثبات وحدانيّته، وهو في ذلك يتبع منهاج القرآن الكريم الذي دعا إلى التأمّل في الكون وما فيه».

وقد تضافرت أقوال علماء التاريخ على صِلته بجابر بن حيّان، وتتلمُذ جابر له في الاعتقاد وأُصول الإيمان. قال ابن خلّكان: «وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيّان الصوفيّ الطرسوسيّ قد ألَّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمّن رسائل جعفر الصادق، وهي خمسمائة رسالة».

وللإمام الصادق عليه السلام مناظراتٌ مع الزنادقة والملحدين في عصره، والمتقشّفين من الصوفيّة، وهي في حدّ ذاتها ثروة علميّة تركها الإمام عليه السّلام.

قال الشيخ المفيد: «ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقَل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقل عنه، ولا لقيَ أحدُ منهم من أهل الآثار ونقلَة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله عليه السلام».

وقد برز بتعليمه من الفقهاء والأفاضل جمٌّ غفير، وأخذ عنه مالك بن أنَس، وانتفع من فقهه وروايته، وكان أبو حنيفة يروي عنه أيضاً.

قال مالك بن أنس: «لقد كنتُ آتي جعفر بن محمّد فكان كثيرَ التبسُّم، فإذا ذُكر عنده النبيّ صلّى الله عليه وآله تغيّر لونه، وقد اختلفتُ إليه زماناً فما كنت أراه إلّا على إحدى ثلاث خصال، إمّا مصلّياً وإمّا صائماً وإمّا يقرأ القرآن، وما رأيته يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا وهو على طهارة، ولا يتكلّم فيما لا يعنيه، وكان من العبّاد الزهّاد الذين يخشون الله تعالى».

وذكر أبو القاسم البغّار في (مسند أبي حنيفة): «قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سُئل: مَن أفقهُ من رأيت؟ قال: جعفر بن محمّد، لمّا أقدمَه المنصور بعثَ إليّ، فقال: يا أبا حنيفة، إنّ الناس قد فُتنوا بجعفر بن محمّد، فهيّئ لي من مسائلك الشِّداد، فهيّأتُ له أربعين مسألة، ثمّ بعث إليّ أبو جعفر [المنصور العبّاسيّ]، وهو بالحيرة، فأتيته فدخلتُ عليه، وجعفر جالسٌ عن يمينه، فلمّا بصرتُ به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلَّمتُ عليه، فأومأَ إليّ فجلست، ثمّ التفتَ إليه فقال: يا أبا عبد الله، هذا أبو حنيفة.

قال: «**نعم أعرفُه**»، ثمّ التفتَ إليّ فقال: يا أبا حنيفة، ألقِ على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلتُ أُلقي عليه فيُجيبني فيقول: «**أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا**»، فربّما تابعَنا، وربّما تابعَهم، وربّما خالفنا جميعاً، حتّى أتيتُ على الأربعين مسألة، فما أخلَّ منها بشيء». ثمّ قال أبو حنيفة: «أليس قد رَوَينا أنّ أعلم الناس أعلمُهم باختلاف الناس؟».

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: «لا نستطيع في هذه العجالة أن نخوض في فقه الإمام جعفر، فإنّ أُستاذ مالك وأبي حنيفة وسفيان بن عيينة، لا يمكن أن يدرّس فقهه في مثل هذه الإلمامة».

وعن أبي بحر الجاحظ (مع عدائه لأهل البيت): «جعفر بن محمّد الذي ملأ الدنيا علمُه وفقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته، وكذلك سفيان الثوريّ، وحسبك بهما في هذا الباب».

قولُ الحَقّ أمام السلطان الجائر

أمّا عن علاقة الامام بحكّام عصره، فقد ذُكر أنّه عليه السّلام واجه في أيام المنصور العبّاسيّ من المحن والشدائد ما لم يواجهه في العهد الأُمويّ، وكان وجوده ثقيلًا عليه، لَانّه أينما ذهب وحيثما حَلّ يراه حديثَ الجماهير، ويرى العلماء وطلّاب العلم يتزاحمون من كلّ حدبٍ وصوب على بابه في مدينة الرسول ﷺ وهو يزوّدهم بتعاليمه، ويُلقي عليهم من دروسه وإرشاداته.

وكان المنصور يدعوه إلى لقائه كلّما ذهب إلى الحجّ، ويتّهمه بما يساوره من رَيبٍ وظنون حول تحرّك الامام عليه السّلام، ولقد دعاه مرّةً إلى بغداد عندما بلغه أنّه يُجبي الزكاة من شيعته، وأنّه كان يمدّ بها إبراهيم ومحمّداً وَلَدَي عبد الله بن الحسن عندما خرجا عليه.

رُوي أن المنصور استدعاه إليه يعاتبه على قطيعته له، وكان قد زار المدينة ولم يدخل عليه الإمام الصّادق فيمَن زاره من الوجوه والأشراف، فقال له: لِمَ لم تَغْشَنَا كما يغشانا الناس؟ فأجابه الإمام عليه السّلام: «**ليسَ لنا من أمرِ الدّنيا ما نخافُك عليه، ولا عندَك من أمر الآخرةِ ما نَرجوه منكَ، ولا أنتَ في نعمةٍ نهنّئكَ بها، ولا في نقمةٍ فنعزّيك**»، فقال له المنصور: تَصحَبُنا لتنصحَنا، فردّ عليه الإمام عليه السّلام بقوله: «**إنّ مَن يريدُ الدنيا لا يَنصَحُكَ، ومَن أرادَ الآخرةَ لا يَصحَبُكَ**».

استُشهد الإمام عليه السّلام في زمن المنصور العبّاسيّ بسُمٍّ دسَّه هذا الأخير في طعامه، في الخامس والعشرين من شوّال، وقيل غير ذلك، سنة ثمان وأربعين ومائة، ودُفن بالبقيع.

وقال أبو هريرة العجليّ، حينما حمل المشيّعون جنازته:

أَقولُ وَقَدْ راحُوا بِهِ يَحْمِلونَهُ ... عَلى كَاهِلٍ مِن حامِلِيهِ وَعاتِقِ
أَتَدْرونَ ما ذا تَحْمِلونَ إلى الثَّرى ... ثَبيراً ثَوى من رَأْسِ عَلْياءَ شاهِقِ
غَداةَ حَثا الحاثونَ فَوْقَ ضَريحِه ... تُـراباً، وَأَوْلى كـانَ فَوْقَ المَفارِقِ

طلب المنصور العبّاسيّ من الإمام الصادق عليه السلام أن يَصحبَه ليَنْصحَه! فقال له الإمام عليه السلام: «إنّ مَنْ يُرِيْدُ الدُّنْيَا لَا يَنْصَحُكَ، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ لَا يَصْحَبُكَ»

الوصيّ والوصيّة

السّيّد مرتضى العسكريّ رحمه الله*

ورد مصطلح «الوصيّ» و«الوصيّة» ومُشتقّاتهما في كلام العرب بالمعاني الآتية:

- يُقال لإنسانٍ حيّ يعهدُ لإنسانٍ آخَر أن يقوم بأمرٍ يُهمّه بعد وفاته: المُوصي.

- ويُقال للآخر: الوصيّ.

- ويُقال للأمر المُوصى به: الوصيّة.

وتجري الوصيّة بلفظ «الوصيّة» ومشتقّاتها تارةً، مثل أن يقول المُوصي لوصيّه: **أُوصيك** بعدي برعاية أهلي أو إدارة مدرستي، وأن تفعل كذا وكذا.

وأخرى بلفظٍ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: **أطلب منك** أن تقوم بعدي برعاية أهلي ومدرستي وتفعل كذا وكذا...

ويُخبر المُوصي الآخرين عن وصيّته أحياناً بلفظ: **أَوْصيتُ** إلى فلان، أو **وصيّي** فلان. وأخرى يقول: **عهدتُ** إلى فلان، أو **أوكلتُ** إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللّفظَين يؤدّيان معنًى واحداً، وهكذا نظائرهما.

الوصيّة في القرآن الكريم، والسُّنّة الشّريفة

كان هذا موجز معنى مصطلح «الوصيّ» و«الوصيّة» ومشتقّاتهما في لغة العرب، وبنفس المعنى وردت في القرآن الكريم والسُّنّة النّبويّة الشريفة:

قال الله سبحانه في سورة البقرة (الآيات ١٨٠ – ١٨٢): ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ ..﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وفي سورة المائدة (الآية ١٠٦): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ..﴾.

وكذلك وردت في سورة النّساء (الآية ١١ – ١٢): ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ..﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿.. مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

> لقبُ «الوصيّ» أصبحَ علَماً لأمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السّلام، ومعناه أنّه المؤتَمن على شريعة النبيّ، وعلى رعاية أمّته صلّى الله عليه وآله من بعده

ومِمّا ورد في السُّنّة النّبويّة ما رواه كلٌّ من البخاريّ في أوّل كتاب الوصايا من (صحيحه)، ومسلم في كتاب الوصيّة من (صحيحه): «أنّ رسول الله صلّى الله عليه [وآله] قال: **مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ، (أَنْ) يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**».

الوصيّة من الأنبياء

وللوصيّة أحكامها في الفقه الإسلاميّ؛ وبناءً على ما ذكرنا، فإنّ لفظَي «الوصيّ» و«الوصيّة» من المصطلحات الإسلاميّة. والوصيّة من الأنبياء والرّسل أنْ تعهد الرُّسلُ إلى أوصيائهم من بعدهم في حملِ شريعتهم إلى النّاس، ورعاية أمّتهم من بعدهم.

وفي هذه الأُمّة لُقّبَ أمير المؤمنين الإمام عليّ، عليه السّلام، بلقب «**الوصيّ**» وأصبح عَلَماً له، ومعناه أنّه وصيّ النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، وأنّ خاتَم الأنبياء فَعَلَ مثل مَن سبقه من الرُّسل، وعهد إلى الإمام عليّ، عليه السّلام، تبليغَ شريعته ورعاية أُمّته من بعده، وبواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمّة الأحد عشر من بعده، وأخبر النّبيُّ، صلّى الله عليه وآله، المسلمين بكلّ ذلك، تارةً بلفظ «**الوصيّ**» و«**الوصيّة**» ومشتقّاتهما، وأخرى بألفاظ أُخَرَ تؤدّي المعنى نفسه.

* من كتابه (معالم المدرستَين).

البِرّ
من علائم الإيمان

الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ

تعريف موجز بدلالات لفظة «البِرّ» كما وردت في القرآن الكريم، انتخبناه من تفسير (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل) للمرجع الدينيّ الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، تطرّق إليه عند تفسيره الآية ٩٢ من سورة آل عمران: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ..﴾.

لفظة «البِرّ» في أصلها اللّغويّ تعني «السّعة»، ولهذا يقال للصحراء «البَرّ» بفتح الباء، ولهذه الجهة أيضاً يُقال للأعمال الصّالحة ذات الآثار الواسعة التي تعمّ الآخرين وتشملهم «البِرّ» بكسر الباء، والفرق بين البِرّ والخير من حيث اللّغة، هو أنّ البِرّ يراد منه النّفع الواصل إلى الآخرين مع القصد إلى ذلك، بينما يُطلق الخير على ما وصل نفعه إلى الآخرين حتّى لو وقع عن سهوٍ من غير قصد.

ماذا يعني «البرّ» في الآية؟

لقد ذهب المُفسّرون في تفسير «البِرّ» في هذه الآية إلى مذاهب شتّى، فمنهم مَن قال:

- إنّ المُراد به هو «**الجنّة**».
- ومنهم مَن قال: إنّ المُراد هو «**الطّاعة والتّقوى**».
- ومنهم مَن فسّره بأنّ معناه «**الأجر الجميل**».

غير أنّ المُستفاد من موارد استعمال هذه اللّفظة في آيات الكتاب العزيز نفسه هو: أنّ لكلمة «البِرّ» معنىً واسعاً يشمل كلّ أنواع الخير، إيماناً كان أو أعمالاً صالحة، كما أنّ المستفاد من الآية ١٧٧ من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾... المستفاد من هذه الآية المباركة هو اعتبار «الإيمان بالله واليوم الآخر، والأنبياء، وإعانة المحتاجين، والصّلاة، والصّيام، والوفاء، والاستقامة في البأساء والضرّاء» جميعها من شُعَب البِرّ ومصاديقه.

> **البِرّ هو النّفع الواصل إلى الآخرين مع القصد إلى ذلك، بينما الخير هو ما وصل نفعه إلى الآخرين حتّى لو وقع عن سَهْوٍ من غير قصد.**

وعلى هذا، فإنّ للوصول إلى مراتب الأبرار الحقيقيّين شروطاً عديدة، منها: الإنفاق ممّا يحبّه الإنسان من الأموال، لأنّ الحبّ الواقعيّ لله، والتعلُّق بالقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة، إنّما يتّضح ويثبت إذا انتهى المرء إلى مفترق طريقَين، وواجه خيارَيْن لا ثالث لهما، حيث يقع في أحد الجانبَيْن الثروة، أو المنصب، والمكانة المُحبَّبة لديه. وفي الجانب الآخر رِضى الله، والحقيقة، والعواطف الإنسانيّة، وفعل الخير. ويتعيَّن عليه أن يختار أحدهما ويضحّي بالآخَر، ويتغاضى عنه؛ فإذا غضَّ نظره عن الأوّل لحساب الثاني أثبت صدقَ نيّته، وبرهن على حبّه، وعلى واقعيّته في ولائه وانتمائه.

وإذا اقتصر - في هذا السّبيل - على إنفاق الحقير القليل، وبَذْل ما لا يحبّه ويهواه، فإنّه يكون بذلك قد بَرْهَنَ على قصوره - في الإيمان والمحبّة والتعلُّق المعنويّ - عن تلك المرتبة السّامية، وأنّه ليس إلّا بنفس الدرجة التي أظهرها في سلوكه وعطائه لا أكثر، وهذا هو المقياس الطبيعيّ والمنطقيّ لتقييم الشخصيّة، ومعرفة مستوى الإيمان لدى الإنسان، ومدى تجذُّره في ضميره.

حِكَم

مختارات من أقوال لحُكماء نقلها العلماء واستشهدوا بها في مصنّفاتهم، اخترناها في هذا العدد من (كنز الفوائد) للكراجكي، و(آداب النفس) للسيّد العيناثي، و(شرح أصول الكافي) للمازندراني، و(الأمثال المستخرجة من نهج البلاغة) للغروي.

* «إذا لم يكن في العُزلة أكثر من أنّك لا تجدُ أعواناً على الغِيبة، لكَفى».
* «العلماءُ أرحمُ بأُمّة محمّدٍ، صلّى اللهُ عليه وآله، من آبائهم وأُمّهاتهم، قيل: فكيفَ ذلك؟ قال: لأنّ آباءَهم وأُمّهاتِهم يحفظونَهم من نار الدّنيا، والعلماءُ يحفظونَهم من نار الآخرة».
* «الدّنيا تسرُّ لتَغرّ، وتُفيد لِتَكيد. كم راقدٍ في ظلّها قد أيقظَتْه، وواثقٍ بها قد خذلَتْه، بهذا الخُلُق عُرِفَتْ، وعلى هذا الشّرط صُوحِبَت».
* «قال أحدُهم لبَعض إخوانِه: قد نهيتُك أن تريقَ ماءَ وجهِك عندَ مَن لا ماءَ في وجهه، فإنَّ حظَّك من عطيَّته السّؤال».
* «كلُّ سؤالٍ، وإنْ قلّ، أكثرُ من كلِّ نَوالٍ وإنْ جلّ».
* «ولو أنّ أهلَ البُخل لم يدخُل عليهم إلّا سوءُ ظنّهم بالله، لكانَ ذلك عظيماً».

لغة

ركع

الرَّاءُ وَالْكَافُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى انْحِنَاءٍ فِي الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ. يُقَالُ **رَكَعَ الرَّجُلُ، إِذَا انْحَنَى**. وَكُلُّ مُنْحَنٍ رَاكِعٌ. وكلُّ شيء يَنْكَبُّ لِوَجْهِهِ فَتَمَسُّ رُكْبَتُهُ الأَرْضَ أَوْ لا تَمَسُّها بَعْدَ أَنْ يَخْفِضَ رَأْسَهُ فَهُوَ راكِع.

وَرَكَع الشَّيْخُ: انْحَنى مِنَ الكِبَرِ، **وَالْمَشَايِخُ الرُّكَّعُ: الَّذِينَ انْحَنَوْا**.

وَالرُّكُوعُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ هَذَا. ثُمَّ تَصَرَّفَ الْكَلَامُ فَقِيلَ لِلْمُصَلِّي رَاكِعٌ، وَقِيلَ لِلسَّاجِدِ شُكْرًا: رَاكِعٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي شَأْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿...فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿...وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، قَالَ قَوْمٌ: تَأْوِيلُها اسْجُدِي: أَيْ صَلِّي. وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ: أَيِ اشْكُرِي للهِ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، مَعَ الشَّاكِرِينَ.

وكُلُّ قَوْمَةٍ يَتلوها الرَّكوعُ والسَّجْدتانِ مِنَ الصَّلواتِ فَهِيَ رَكْعَةٌ. يقال: رَكَعَ المُصَلِّي رَكْعَةً وَرَكْعَتَيْنِ وَثَلاثَ رَكَعاتٍ. وأَما الرُّكوعُ، فهو أَن يَخْفِضَ المُصلِّي رأْسَهُ بعد القَوْمةِ الّتي فيها القِراءة حتّى يَطْمَئِنَّ ظَهْرُهُ راكِعاً.

وجمع الرّاكع: رُكَّعٌ ورُكُوعٌ؛ **وكانت العرب** في الجاهليّة **تُسمّي الحَنِيفَ راكعاً إذا لم يَعْبُدِ الأَوثان**، وتقول: رَكَعَ إِلى الله.

قال ابن برّيّ: رَكَعَ أَي كَبا. ويقالُ: **رَكَعَ الرَّجُلُ: إذا افْتَقَرَ** بعد غِنًى وانْحَطَّت حالُه.

(انظر: الصحاح، ولسان العرب)

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

فَأَنْهَضَني إِلَيْهِ رَسولُ اللّٰه صلى الله عليه وآله.. وَعَمَّمَني بِيَدِه

من كلامٍ لأمير المؤمنين عليه السّلام عند منصرَفه من وقعة النهروان، يَصِف فيه حالَ المسلمين يومَ الأحزاب، وقد ورد قوله عليه السلام في سياق إجاباته على أسئلة رأس اليهود:

«..**فَإِنَّ قُرَيْشاً وَالعَرَبَ تَجَمَّعَتْ وَعَقَدَتْ بَيْنَها عَقْداً وَميثاقاً لا تَرْجِعُ مِنْ وَجْهِها حَتَّى تَقْتُلَ رَسولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتَقْتُلَنا مَعَهُ مَعاشِرَ بَني عَبْدِ المُطّلِبِ؛ ثُمَّ أَقْبَلَتْ بِحَدِّها وَحَديدِها حَتَّى أَناخَتْ عَلَيْنا بِالمَدينَةِ، واثِقَةً بِأَنْفُسِها فيما تَوَجَّهَتْ لَهُ، فَهَبَطَ جَبْرَئيلُ، عَلَيْهِ السَّلامُ، عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَنْبَأَهُ بِذَلِكَ، فَخَنْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ.**

فَقَدِمَتْ قُرَيْشٌ فَأَقامَتْ عَلى الخَنْدَقِ مُحاصِرَةً لَنا، تَرَى في أَنْفُسِها القُوَّةَ وَفينا الضَّعْفَ، ترعدُ وَتبرقُ! وَرَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، يَدْعوها إِلى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَيُناشِدُها بِالقَرابَةِ وَالرَّحِمِ فَتَأْبى، وَلا يَزيدُها ذَلِكَ إِلَّا عُتُوّاً! وَفارِسُها وَفارِسُ العَرَبِ، يَوْمِئِذٍ، عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ، يَهْدُرُ كَالبَعيرِ المُخْتَلِمِ، يَدْعو إِلى البِرازِ، وَيَرْتَجِزُ وَيَخْطُرُ بِرُمْحِهِ مَرَّةً وَبِسَيْفِهِ مَرَّةً، لا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مُقْدِمٌ، وَلا يَطْمَعُ فيهِ طامِعٌ، وَلا حَمِيَّةَ تُهَيِّجُهُ ولا بَصيرَةَ تُشَجِّعُهُ، فَأَنْهَضَني إِلَيْهِ رَسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَعَمَّمَني بِيَدِهِ، وَأَعْطاني سَيْفَهُ هَذا – وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلى ذي الفَقارِ – **فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَنِساءُ أَهْلِ المَدينَةِ بَواكٍ إِشْفاقاً عَلَيَّ مِنْ ابْنِ عَبْدِ وُدٍّ! فَقَتَلَهُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِيَدي، وَالعَرَبُ لا تَعُدُّ لَها فارِساً غَيْرَهُ*، وَضَرَبَني هَذِهِ الضَّرْبَةَ** – وَأَوْماَ بِيَدِهِ إِلَى هامَتِهِ الشّريفة – **فَهَزَمَ اللهُ قُرَيْشاً وَالعَرَبَ بِذَلِكَ، وَبِما كانَ مِنّي فيهِمْ مِنَ النِّكايَةِ.**

ثُمَّ الْتَفَتَ، عَلَيْهِ السَّلامُ، إِلى أَصْحابِهِ فَقالَ: **أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟** قالوا: بَلَى يا أَميرَ المُؤْمِنينَ».

(الخصال، الشيخ الصدوق)

* أي أن العرب لا تعُدُّ لنفسها فارساً غيَره. أو لا تعدِلُه فارساً، أي لا تُساوي به أحداً من أقرانه

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

قاسيون

جبلٌ يطلّ على مدينة دمشق بارتفاع ١,١٥٠ متراً، ويعدّ مَعلَماً سياحيّاً تاريخيّاً. وهو امتداد جغرافيّ لسلاسل الجبال السّوريّة الغربيّة.

تقع فيه بعض أحياء دمشق مثل حيّ المهاجرين، وحيّ ركن الدّين، وحيّ «أبو رمّانة»، وحيّ الشّيخ محي الدّين ابن عربيّ، وفيه مسجده الأثريّ وضريحه ومدرسته وتِكيته، ومضخّة مياهه التّراثيّة (النّاعورة).

ويحوي مَعلماً أثريّاً، وهو «مغارة الدّم» أو ما يسمّى «مقام الأربعين». قال الحمويّ في (معجم البلدان): «قاسيون هو الجبلُ المشرف على مدينة دمشق، وفيه عدّة مغاور، وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصّلاح، وهو جبل معظّم مقدّس، يُروى فيه آثار وللصّالحين فيه أخبار... وبه مغارة تعرف بمغارة الدّم، يقال بها قتل قابيلُ أخاه هابيل، وهناك شبيه بالدّم يزعمون أنّه دمه باقٍ إلى الآن، وهو يابس، وحجر مُلقى يزعمون أنّه الحجر الذي فلق به هامته؛ وفيه مغارة الجوع، يزعمون أنّه مات بها أربعون نبيّاً».

عُمِّرت سفوح جبل قاسيون منذ زمن سحيق بالمساكن بعيداً عن مدينة دمشق المنخفضة داخل السّور. بلغ العمران على سفوحه الدّنيا شأواً كبيراً خلال القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر، وفيه المنشآت التّراثيّة الكثيرة والأسواق والأزقّة التي ترجع إلى هذين العصرين. كما شُيّدت على قمّة قاسيون الجنوبيّة الغربيّة قاعة كبيرة من الحجارة، تعلوها قبّة السّيّار التّاريخيّة، التي ارتادها فلكيّو الماضي.

لَوْلا الصّادِق.. لَمْ يَكُ بِالحَقِّ الحَقيقِ ناطِق

■ الفقيه الشّيخ محمّد حسين الأصفهانيّ

ديوان (الأنوار القدسية) للفقيه الفيلسوف الشيخ محمّد حسين الأصفهاني النجفي - والمعروف بـ «الكمباني» - يتضمن أربعاً وعشرين أرجوزة في النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأهل بيته عليهم السّلام.

الأبيات التالية من إحدى قصائده في الإمام الصادق عليه السلام وردت تحت عنوان: «أنواع العلوم»، نقدّمها في أجواء ذكرى شهادة الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر شوّال.

بَثَّ لُبابَ العِلْمِ في الأَلْبابْ ... وَمَيَّزَ القِشْرَ مِنَ اللُّبابْ
أَحْيَى بِأَنْواعِ العُلومِ وَالحِكَمْ ... قُلوبَ أَرْبابِ المَعالي وَالهِمَمْ
أَبانَ عَنْ حَقائِقِ العِرْفانِ ... بِمُحْكَمِ البَيانِ وَالبُنْيانِ
شَيَّدَ أَرْكانَ الهُدَى بِحِكْمَتِهْ ... وَشادَ قَصْرَها بِعالي هِمَّتِهْ
هِمَّتُهُ مِنْ هامَةِ السَّماءِ ... كَقابِ قَوْسَيْنِ مِنَ الغَبْراءِ
مَهَّدَ لِلسَّيْرِ إِلى الحَقيقَةْ ... قَواعِدَ السُّلوكِ وَالطَريقَةْ
أَعْرَبَ عَنْ مَقامِ سِرِّ الذّاتِ ... وَعالَمِ الأَسْماءِ وَالصِّفاتِ
حَتَّى تَجَلَّى الحَقُّ في كَلامِهْ ... فَشاهَدوهُ وَهُوَ في مَقامِهْ
بَلْ أَشْرَقَتْ حَقيقَةُ الحَقائِقِ ... مُذْ بَزَغَتْ شَمْسُ مُحْيا الصّادِقِ
وَفي بَيانِهِ وَفي عَيانِهِ ... غِنًى لِذي عَيْنَيْنِ عَنْ بُرْهانِهِ
فَلا وَحَقِّ الصِّدْقِ لَوْلا الصّادِقْ ... لَمْ يَكُ بِالحَقِّ الحَقيقِ ناطِقْ
لَهُ يَدُ المَعْروفِ عِنْدَ العارِفْ ... بَلْ يَدُهُ البَيْضا عَلى المَعارِفْ
سَنَّ حَديثَ الصِّدقِ صِدقُ لهجتِهْ ... وحُسنُ الاخلاقِ حُسنُ بَهجتِهْ
وَهَلْ تَرى مَكارِمَ الأَخْلاقِ ... إِلّا عَنِ الطَّيِّبِ في الأَعْراقِ
كانَ عَظيمُ خُلُقِهِ تُراثا ... عَنْ جَدِّهِ أَكْرِمْ بِهِ ميراثا
أَفْصَحَ عَنْ حَقائِقِ الكِتابِ ... بِما يُزيلُ رِيبَةَ المُرْتابِ
فَإِنَّهُ سَليلُ مَنْ خُوطِبَ بِهْ ... وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدِهِ وَمَنْصِبِهْ
بَلْ هُوَ في صَحيفَةِ الوُجودِ ... كَنُقْطَةِ الباءِ لَدَى الشُّهودِ
وَلَيْسَ ما في الكُتُبِ المُنْزَلَةْ ... إِلّا وَفي نُقْطَةِ باءِ البَسْمَلَةْ
وَفي بَيانِهِ لِحِفْظِ السُّنَّةْ ... ما لَيْسَ في أَلْسِنَةِ الأَسِنَّةْ
دافَعَ عَنْها بِقِواهُ العالِيَةْ ... مِمّا خَلَتْ عَنْهُ القُرونُ الخالِيَةْ
جاهَدَ عَنْها أَعْظَمَ الجِهادِ ... بِبَثِّ روحِ العِلْمِ وَالإِرْشادِ
فَاسْتَحْكَمَتْ بِجِدِّهِ حُدودُها ... يُغْنيكَ عَنْ آثارِها شُهودُها
أَحْيَى رُبوعَ العِلْمِ بَعْدَ الطَّمْسِ ... فَاخْضَرَّ عودُهُ عَقيبَ اليَبَسِ
حَتَّى غَدَتْ رِياضُها أَنيقَةْ ... وَأَثْمَرَتْ ثِمارُها الحَقيقَةْ
عادَتْ بِهِ شَريعَةُ الأَحْكامِ ... نَقِيَّةً عَنْ كَدَرِ الأَوْهامِ
حَتَّى صَفا لِأَهْلِها زُلالُها ... وَبانَ عَنْ حَرامِها حَلالُها
أَكْرِمْ بِها شَريعَةً مُعَظَّمَةْ ... بِناؤُها عَلى أَساسِ العَظَمَةْ
عَلى أَساسِ الوَحْيِ وَالتَّنْزيلِ ... عَلى يَدِ الخَبيرِ بِالتَّأْويلِ

إصدارات عربية

الكتاب: تأسيس الحضارة الاسلامية في فكر الإمام الخامنئي دام ظلّه

إعداد: «مركز نون للتأليف والترجمة»

الناشر: «جمعية المعارف الإسلامية الثقافية»، بيروت ٢٠١٥م

من «سلسلة في رحاب الوليّ الخامنئي» صدر كتاب (تأسيس الحضارة الإسلامية) عن «جمعية المعارف الإسلامية الثقافية».

جاء في المقدّمة: «يواكب هذا الكتاب تأسيس الحضارة الإسلامية من الخطوات الأولى التي أرساها النبيّ محمّد ﷺ في تبليغ الرسالة الإسلامية في الجزيرة العربية، ثمّ نشرها في الأصقاع المختلفة، وصولاً إلى بناء الحضارة الإسلامية الشامخة في فترة زمنية وجيزة قياساً مع أوقات بناء الحضارات، ويقدّم تقويماً دقيقاً للمراحل المختلفة التي مرّ بها المسلمون، وصولاً إلى عصر الإمام الخميني وبناء الدولة الإسلامية والنظام الإسلامي.

والكتاب دراسة علمية عميقة جديدة عن تأسيس الحضارة الإسلامية؛ تعتمد على الفكر الأصيل للإمام الخامنئي حفظه المولى، وهي لا تغوص بشكلٍ جامد في الأحداث، كالدراسات التاريخية المحضة، بل تحلّل الأحداث وتستنطقها من بوابة الحاضر والمستقبل».

الكتاب: ذِكرُ الأسباب الصادّة عن إدراك الصواب

المؤلّف: أبو الفتح الكراجكيّ (ت: ٤٤٩ للهجرة)

تحقيق: عبد الحليم عوض الحلّيّ

الناشر: «مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة»، كربلاء ١٤٣٥ للهجرة

(ذِكرُ الأسباب الصادّة عن إدراك الصواب) واحدٌ من المؤلفات الصغيرة الحجم للشيخ العلامة محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي، من تلامذة الشيخ المفيد والسيد المرتضى. قال عنه العلامة المجلسي: «وأما الكراجكي، فهو من أجلّة العلماء والفقهاء والمتكلّمين، وأسندَ إليه جميع أرباب الإجازات».

والكتاب – كما عنوانه – يُعنى ببيان أسباب الضلال؛ كالهوى والعصبية وتقليد الآباء والعادة. قال المؤلّف في مقدمته: «وبعد، فقد وقفتُ على ما رغب فيه الإخوان – ثبّتهم الله على الإيمان – من ذكر الأسباب الصادّة عن إدراك الصواب، وهي رغبةٌ تدلّ على فضل، وطَلِبةٌ شاهدةٌ بشريف عقل، قد بلغ المرادَ مَن أحكم الاعتقاد، وأدرك النجاح مَن أجاد الاقتراح. والنفعُ بمعرفة هذه الأسباب كثير، والضرر بجهلها خطْبٌ خطير».

ويقول معرّفاً بفصول الكتاب: «واعلم أنّ هذه الأسباب على أقسام: منها ما يختصّ بالعامّة الجهّال، ومَن هجرَ النظر والاستدلال. ومنها ما يدخل على المقلّدين وبعض المستدلّين، ويعظّم المضرّة على الفريقَين. ومنها ما يختصّ بذَوي الاستدلال، فيقودُ مَن اعترضه إلى الضلال».

الكتاب: كربلاء في مجلّة لغة العرب

إعداد: «مركز إحياء التراث»

الناشر: «مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة»، كربلاء ١٤٣٥ للهجرة

.. وعن «العتبة العباسية المقدّسة» أيضاً، صدر كتاب (كربلاء في مجلّة لغة العرب) وهو باكورة سلسلة كتيّبات «اخترنا لكم»، التي تُعنى بإعادة نشر ما تضمّنته المجلات والدوريات القديمة من مخطوطات محقّقة، أو نكات علمية، أو مقالات تراثية كُتبت بأقلام رصينة.

والكتاب هو حصيلة ما ورد بخصوص مدينة كربلاء المقدّسة في مجلّة «لغة العرب» الشهرية الأدبية التي كانت تصدر في بغداد ما بين ١٩١١ و ١٩٣١ للميلاد، صاحب امتيازها الأب أنستاس ماري الكرملي، ومديرها المسؤول الشيخ كاظم الدجيلي.

يحتوي الكتاب على فصولٍ أربعة: الأول يتضمّن الرحلات، والثاني المقالات، والثالث المقتطفات – وهي مواد ذُكرت فيها مدينة كربلاء عرَضاً – والرابع يتضمن الأخبار المتعلّقة بالمدينة.

من الرحلات: رحلة إلى كربلاء والحلّة ونواحيهما – قصر الأخيضر ورأي العلامة الألوسي فيه.

ومن المقالات: أفكار الغربيّين نحونا – عاشوراء في النجف وكربلاء.

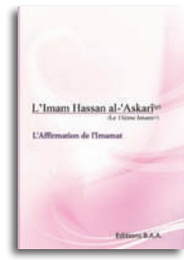

الكتاب: (الإمام الحسن العسكريّ عليه السّلام، الإمام الحادي عشر)

L'Imam Hassan al-'Askarî(p), le 11ème Imam

المؤلّف: ليلى سوراني

الناشر: «مركز باء»، بيروت ٢٠١٥م.

صدر مؤخّراً عن «مركز باء» كتاب باللغة الفرنسيّة عن سيرة الإمام العسكريّ عليه السّلام وحياته، ضمن سلسلة الأئمّة الاثني عشر التي يعدّها المركز.

يُقدّم هذا الكتاب حياةَ الإمام الحادي عشر من أئمّة المسلمين الحسن بن عليّ العسكريّ، والد الإمام المهديّ عجّل الله فرجه ضمن الفصول التالية:

- إثبات الإمامة.
- الإمام، عليه السلام، والسلطة العبّاسيّة.
- تهيئة المُوالين والتّابعين لِغَيْبة الإمام الثاني عشر، وحماية المجتمع من الانقسامات والانحرافات نتيجة الغَيْبة.
- قصّة زواج الإمام عليه السّلام من السيّدة مليكة.
- ولادة الإمام المهديّ، عجّل الله تعالى فرجه الشّريف.

يتميّز الكتاب بوفرة الروايات مع ذكر المصادر، ويُلقي الضوء على جوانب مُهمّة من سيرة الإمام العسكريّ عليه السلام، ومعجزاته، وعلمه.

الكتاب: (العقل والدّين) عقل ودين

المؤلّف: الشيخ علي ربّاني الكلبيكاني

صدر حديثاً في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة كتاب (العقل والدين) الذي يتناول العلاقة بين كلٍّ من العقل والدّين من المنظور القرآنيّ لمؤلّفه الشيخ علي ربّاني الكلبيكاني، وقد فاز الكتاب بـ «جائزة كتاب العام للحوزات العلميّة» بدورتها السادسة عشرة والتي أُقيمت مؤخّراً في الجمهوريّة الإسلاميّة.

أوضح مؤلّف الكتاب أنّ تصنيفه يتبنّى موقفاً جديداً – إلى حدٍّ ما – من العقل والدّين ومكانتهما من التفسير والمعارف والفقه، مضيفاً أنّه لم يتمّ إلى الآن عملٌ جادّ حول هذا الموضوع.

وأكّد الشّيخ الكلبيكانيّ أنّ الاهتمام بخطاب العصر، إلى جانب آراء القدماء، يعتبر ضمن ميّزات كتاب (العقل والدّين)، مضيفاً أنّ النّهج المُتّبع في الكتاب يتمثّل في دراسة موضوع العقل والدّين من وجهة نظر القرآن الكريم، ثمّ تبيينه بالتطرّق إلى الآراء الفلسفيّة والكلاميّة والمعرفيّة.

(نقلاً عن مجلّة البشير)

الكتاب: (لماذا خسرنا؟)

Why We Lost?

المؤلّف: دانييل بولغر

الناشر: «أيمون دولان»، ٢٠١٤م.

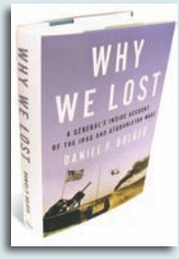

مؤلّف هذا الكتاب هو الجنرال الأميركي دانييل بولغر، الذي كان قائداً ميدانياً في حربَي العراق وأفغانستان، حيث ساهم مع أرفع القيادات العسكريّة، في وضع الاستراتيجيّات والخطط القتاليّة وكذا تنفيذها، وكان بذلك شاهداً رئيسيّاً على مجريات هاتين الحربَين منذ أحداث سبتمبر/أيلول ٢٠٠١ حتّى انسحاب القوّات الأميركيّة من العراق.

وقد خلُص من خلال كتابه إلى حقيقة أنّ الأميركيّين قد «خسروا الحربَيْن وكان بإمكانهم أن يتفادوا هذه الخسارة». واعتمد بولغر في هذه الخلاصة التي وصل إليها على حقائق دامغة، في مقدّمتها أنّ المعلومات الاستخباريّة التي توفّرت للجيش الأميركيّ كانت مشوّشة وغير دقيقة في معظم الأحيان، بينما كانت قرارات القيادة تتخبّط بين النظريّات العسكريّة والجداول المُضلّلة.

«هدى القرآن»

(١٦)

عن «جمعيّة القرآن الكريم للتوجيه والإرشاد» في بيروت صدر العدد السادس عشر من مجلّة «هدى القرآن»، وهي تُعنى بالثّقافة القرآنيّة. من مواضيع الإصدار الجديد:

- **مناهج التّفسير**: التفسير الإشاريّ بين القبول والرفض.
- **قصص قرآنيّة**: قصة فتح مكّة والعفو والرحمة المحمّديّة.
- **الأخلاق في القرآن**: شموليّة التوبة لجميع الذّنوب.
- **القرآن في نهج البلاغة**: الْقُرْآنُ دَوَاءُ دَائِكُمْ.

وحرصاً منها على تقوية علاقة الناشئة بالقرآن الكريم، واستجابةً لتوجيه الإمام الخامنئيّ، دام ظلّه، حيث يقول: «اهتمّوا بتعليم القرآن لأولادكم في سنّ الطفولة اهتماماً خاصّاً»، أصدرت «جمعيّة القرآن الكريم» أربعة كتب قرآنيّة خاصّة بالأطفال، جاءت عناوينها كالتالي:

- آيات جميلة وأحاديث حلوة.
- العمليّات الحسابيّة الأربع في القرآن.
- المهن في القرآن.
- الكتاب الدوّار.

«البشير»

(٩)

صدر العدد الجديد من مجلّة «البشير»، وهي فصليّة داخليّة تعنى بأخبار الحوزة العلميّة، وتصدر عن «جامعة المصطفى ﷺ العالميّة – فرع لبنان».

نقرأ في هذا العدد في باب «أريج الولاية وعبق الثّورة»: كلمات للسيّد القائد الخامنئيّ، دام ظلّه، في عدد من المناسبات، منها: مؤتمر التيّارات المُتشدّدة والتكفيريّة في فكر العلماء، نداء لملتقى الصلاة الثالث والعشرين.

كذلك تضمّن الإصدار الجديد:

- **شؤون حوزويّة**: قراءة في كتاب (من لا يحضره الفقيه).
- **من ذاكرة البشير**: سيرة الشيخ بهاء الدين العامليّ قدّس سرّه.
- **من قصص العلماء**: صمود الآخوند الخراسانيّ في طلب العلم.

«الحياة الطيّبة»

(٣٠)

صدر العدد الثلاثون من «الحياة الطّيّبة»، وهي مجلّة فصليّة محكّمة متخصّصة تُعنى بقضايا الفكر والاجتهاد الإسلاميّ.

تناولت المجلّة، ضمن ملّف العدد، موضوعَ «الاقتصاد الإسلاميّ ورهان تحقيق العدالة في المجتمع الإنسانيّ»؛ ومن المقالات والدّراسات التي تضمنّها:

- «الدّين والاقتصاد – قراءة في مجالات العلاقة» د. حسين نمازي ود. دادجر.
- «التعاليم الاقتصاديّة الإسلاميّة» د. أحمد علي يوسفي.
- «فقه العدالة الاجتماعيّة وفلسفتها في الإسلام» د. يحيى رضا جاد.
- «المشترك الدينيّ والإنسانيّ وعالميّة الإسلام» د. محمّد الكوادي.

أمّا في الأبحاث والدراسات التخصصيّة، نقرأ:

- «مصطلح الرافضة، من التوصيف السياسيّ إلى التوظيف العنصريّ» أ. د. الشيخ محمّد شقير.
- «البعد التربويّ والتعليميّ في فكر ابن حزم الأندلسيّ» مولاي حفيظ العلويّ.

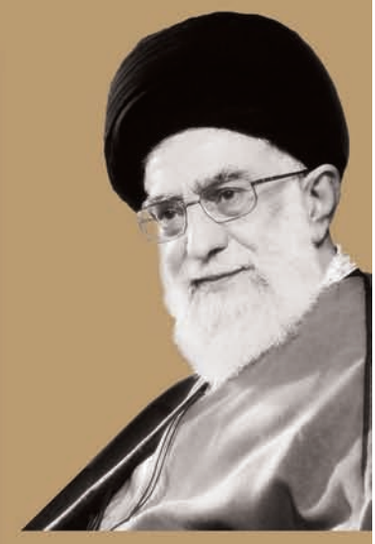

جهاد النَّفس، قبل يوم الحساب والحَسرة..

من الأمور التي حثّ عليها شرعُ الإسلام المقدّس، [هو] أن يبكي الإنسانُ على نفسه. ولا شكّ في أنّنا سنبكي جميعاً على أنفسنا لو أدركْنا واقعَنا. فنحن، في الحقيقة، في غفلةٍ عن حالنا. «..»

يقول الله تعالى في إشارةٍ إلى يوم القيامة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ..﴾ مريم:٣٩، إنّ كلّ لحظةٍ واقعيّة، والتي قد تكون أقلَّ من ثانية واحدة، تصنع لكم الدرجات العليا في الآخرة، ولكنّكم يومَ القيامة سترون كيف أنّ آلافَ ملايين اللّحظات قد ضاعتْ في الدّنيا مقابل لا شيء. أفَلا يُورث هذا الأمر نَدَماً؟!

يومُ الحسرة هو هذا؛ حيث ترون أنّ قسماً من لحظات عمركم قد صُرفت في مسيرة البُعد عن الهدف، والبُعد عن الله تعالى. ولهذا، فإنّ البكاء على النّفس من خير الأعمال. بكاءُ الإنسان على العاقبة بعد الموت ويومَ القيامة، هذا اليوم الذي قد يكون عذابه أشدّ بكثير من عذاب القبر وآلامه، هذا البكاء هو من الأعمال الصالحة.. فهل عسانا، ونحن نرى الموت من حولنا، ونستطيع أن نتصوّر ظلماتِ القبر، أن نستيقظَ قبل فوات الأوان؟!

نحن الآن نعيش بين الأصدقاء والأحبّاء، ونَنعُم بملذّات الدنيا وسعاداتها، ولكنْ سيأتي زمانٌ - من الممكن أن يكون بعد ساعة واحدة، أو سنة، أو عشرين سنة - نفقدُ فيه كلّ أعزّائنا وملذّاتنا، ونبقى في وحدتنا، تحت التراب.

في ذلك الحين، ستكون تلك الغُربة، وذلك البُعد عمّا اعتاد عليه الإنسان طيلةَ حياته من أصعب الأمور، لا سيّما عندما يرى جميع أعماله في الدّنيا حاضرة ومحيطة به، ويعلم أنّ سؤال مُنكَرٍ ونَكير حقّ، كما نقرأ في زيارة «**آل يس**».

يوم القيامة الذي قد يبدو لنا، بمنظارنا الدّنيويّ، صعباً هو في الواقع أصعب بآلاف المرّات ممّا نتصوّر، ولكن بما أنّه بعيدٌ عن أنظارنا في الوقت الحاضر، فإنّنا لن ندرك قيمةَ البكاء على هذه المسائل، ولن نعرف فظاعةَ يوم الحَسرة.